

اللغة العربية القديمة وأصولها

أ. د. جهاد عبود

مخطط البحث:

أولاً: المقدمة.

ثانياً: التمهيد: كلمة عن اللغة.

ثالثاً: نشأة اللغة العربية الفصحى والآراء في ذلك.

رابعاً: النقوش الثمودية واللحيانية والصفوية والنبطية:

1- الثموديون.

2- اللحيانيون.

3- الصفويون (أهل الصفا).

4- الأنباط.

خامساً: الآراء في النصوص: مناقشة ومعطيات.

سادساً: قس بن ساعدة الإيادي والعربية الفصحى.

سابعاً: العربية الفصحى والنص الأوجاريتي.

ثامناً: نماذج من كلمات سبئية وأوجاريتية، وما يقابلها من كلمات في اللغة العربية الفصحى.

تاسعاً: الخاتمة.

عاشراً: المصادر والمراجع.

أولاً - المقدمة:

إن هذا الموضوع قد شغل منذ زمن طويل كثيراً من الباحثين أصحاب الاهتمام باللغة العربية الفصحى، سواء من العرب أو غير العرب، وبرزت إشكالية هذا الموضوع من خلال اختلاف الآراء فيه، وأيضاً الطريقة التي تمت بها دراسته، وضمن هذا السياق نشير كنوع من التوضيح إلى التناقض الموجود في مضمون الآراء في ذلك، فمن ناحية يعدّ بعضهم هذه اللغة من خلال عدد حروفها، هي الأقرب للغة الأم القديمة جداً غير محددة الزمن، والتي هي لغة الإنسان العاقل، ومن ناحية أخرى يعدّها بعضهم الآخر لغة ليست قديمة جداً، وذلك بالقياس الزمني مع ما يسمونه باللغات القديمة "أخواتها" كما يرون، كالأكدية والبابلية والأوجاريتية... الخ، والمعدودة منهم كلغات مستقلة بالكامل عن بعضها بعضاً، والمشارك الموجود بينها ليس من باب الصلة والتواصل، بل هو بعض التشابه من خلال المقارنة، مع أنّها في النهاية تعود جميعها إلى أصل واحد، وهو اللغة الأم، ويجب التوقف عند الأسلوب الذي إتّبع، سواءً بشكل مقصود أو غير مقصود، في موضوع المقارنة.

وفي الواقع يمكننا القول: إنّ المقارنة لم تحدث نهائياً بين ما سمّوه باللغات القديمة، وبين ما دُعي لهجات القبائل العربية القديمة داخل الجزيرة العربية أو خارجها، وبعضها ما زال مستمراً حتى الآن، وإنّما قورن فيما بينها فقط، وبشكل خجول بينها وبين العربية الفصحى، ومن ثمّ حُرِّمنا من الكشف عن نقاط غامضة كثيرة، سواء في كلماتها أو في قواعدها، وحُرِّمنا أيضاً من صفتها الحقيقية كلهجات قبلية قبل كل شيء، التي انطلق أصحابها في يوم ما من قلب شبه الجزيرة العربية الى مناطق أخرى، كبلاد سوريا القديمة

والرافدين وغيرهما من المناطق¹، وخضعت بدورها في المناطق الجديدة إلى نوع من التطور اللغوي الذي اختلف، بشكل ما، عن التي بقيت واستمرت داخل الجزيرة العربية. ومن خلال هذا الأسلوب الذي أُتبع، قُسمت جميعاً إلى مجموعات، وكل مجموعة منها مستقلة عن الأخرى، وبهذا فقد وُضعت جدران فيما بينها دون أبواب، والجدران فيها فقط نوافذ بسيطة وصغيرة، ولكنها في بيت واحد هو اللغة الأم المفترضة، حتى أنّ المصادر العربية نفسها أهملت بدورها لسبب ما دراسة لهجات القبائل بالشكل المطلوب، ولم تعطها الأهمية اللازمة، إلا ما كان ضرورياً منها للعربية الفصحى (اللغة المثالية)، وبشكل جزئي وغير كامل.

⁽¹⁾ عن سوريا القديمة وبلاد الرافدين وغيرهما يمكن القول إنّه: "لو أحببنا التعرف على الرقعة من الأرض التي شغلها الشعب العربي منذ أكثر من ستة آلاف سنة وحتى اليوم لوجدنا أنها الممتدة من البحرين الهندي والعربي، صعوداً إلى شواطئ الخليج العربي وجبال زاغروس من الشرق، ثم تنقوس باتجاه الغرب إلى ما بين هضبة أرمينيا إلى المضائق، وينحدر الخط جنوباً على طول الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط، ثم يطوق مصر كلها ويجعل من البحر الأحمر بحراً عربياً بأكمله، ويمتد على طول الشاطئ الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط حتى الأطلسي... وكما نلاحظ فإنّ هذا الخط الحدودي الذي يعود إلى أكثر من ستة آلاف سنة يشمل المناطق كلّها التي اسمها شبه جزيرة العرب، ودول منطقة الهلال الخصيب الممتدة من طرفه الشرقي على الخليج العربي، إلى المتوسط، إلى وادي النيل، ثم تابع العرب السوريون (الفينيقيون منهم خاصة) توسيع تلك الرقعة لتتلاءم مع حيويتهم التجارية المتدفقة، وجعلوها تمتد بين أوغاريت وصيدا وصور إلى زرع ثمانين محطة - مدينة عربية فينيقية منتشرة من قبرص إلى شواطئ الأطلسي. ومنذ ذلك الحين كان نشوء الوطن العربي" (، انظر: داوود، أحمد، تاريخ سوريا القديم- تصحيح وتحريير، ط3، دمشق، 2003، ص63-64).

ويضيف داوود في ص 146: "إنّ البقاع التي شغلها العرب السوريون الزراعيون منذ أنّ عُرف أول استيطان زراعي في العالم هي تلك الأرض الممتدة من الخليج العربي بشاطئيه الشرقي والغربي، إلى حوضي دجلة والفرات الأدنى والأعلى، إلى الأرض الممتدة على طول الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط، إلى ضفاف الأردن ثم إلى دلتا نهر النيل".

وفي الواقع ضمن هذا السياق يمكننا القول، إنّ الحلقة المفقودة التي جعلت من شبه المستحيل، بل من المستحيل، التمكن من الوصول إلى حلّ جزئي على الأقلّ لإشكالية اللغة العربية القديمة، هي عدم المقارنة بين لهجات القبائل القديمة والحالية داخل شبه الجزيرة العربية، وبين ما سُمّي (باللغات القديمة) في بلاد سوريا- الشام والرافدين وغيرهما من المناطق، وبهذه المقارنة يمكن عدّ لهجات القبائل صلة الوصل بين اللغة العربية الفصحى وتلك اللهجات "اللغات القديمة"، التي استمرت عبر الزمن الطويل بنوع من التأثير والتأثر، والاختلاط المستمر وصولاً حتى مرحلة نزول القرآن الكريم وكتابة اللغة العربية الفصحى.

وكنوع من المقارنة من أجل ذلك، سيتم الدخول مباشرة في اللهجة الأوجاريتية، إحدى اللهجات العربية القديمة جداً التي عاشت في منطقة الساحل السوري (شمال اللاذقية)، بدءاً من الألف الثالث قبل الميلاد على الأقلّ، وبهذا أصبحنا امام هدف كبير وأهمية كبيرة لهذه الدراسة، وهما تأكيد قدم اللغة العربية الفصحى، بحيث يمكننا القول ليس نظرياً فقط، وإنما فعلياً: إنّ الصلة والتواصل اللغوي موجودان عملياً بين قلب شبه الجزيرة العربية، وبين بقية المناطق المحيطة بها، ولاسيما الوطن العربي القديم منذ أقدم الأزمنة.

على أية حال فإنّ النصوص الأوجاريتية التي دُرست في بحثنا هذا، كانت الدليل القاطع على أن اللغة العربية الفصحى قديمة جداً، وما قيل من آراء عن زمن ظهورها مرة واحدة، وذلك ضمن ما يسمى بالعصر الجاهلي أو قبل الإسلام بمدّة وجيزة جداً، أو بالأحرى مع نزول القرآن الكريم، فهناك أمر منسيّ بالغ الأهمية بأنّ كلمات الفصحى لم تخلق فجأة في الزمن الذي سمّوه، وإنما كانت ببساطة تامة موجودة بكامل كلماتها وألفاظها، وبهذا فإنّها تمتد زمنياً قبل العصر الجاهلي عبر عصورٍ طويلةٍ، وإنّ مرحلة كتابة أي لغة من اللغات لا تدلّ على عمرها أو بدايتها نهائياً.

ولا بدّ هنا من الإشارة إلى أمر مهمّ جداً وهو أن نعتزّف، بوضوح وبصرامة، أنّ العربية الفصحى هي لغة الإنسان العاقل، ومدرسة مستمرة منذ القديم جداً، ومن الوارد

أنها كانت اللغة المقدسة الخاصة بالمراكز الدينية والنص المقدس وما تفرع عن ذلك من تعليم لها لخاصة الناس ونشاطات أدبية من شعر وغيره، إلى أن نزل القرآن الكريم شاملاً ما سبق كلّه².

ثانياً - التمهيد: كلمة عن اللغة:

كنوع من التمهيد البسيط لبحثنا، من المهم أن نذكر شيئاً عن أهمية اللغة وقيمتها الحضارية، إذ إنَّها تُعدّ من أهم مميزات الإنسان الاجتماعية، ومن خلالها يتمكن من ترجمة أفكاره ومشاعره مع بقية أفراد مجتمعه، وفي اللغة كل نتاجه المادي والروحي، ومن ثمّ فهي العنصر الأساسي في إبراز الهوية القومية للفرد والمجتمع، أو بالأحرى للأمة كلّها.

ولا شك في أنّ اللغة هي صوت العقل، فلا معرفة بلا عقل وفكر، ولا تفكير بلا لغة، إذ إنّ اللغة هي الوسيلة الوحيدة لنشأة المعرفة الإنسانية وتكوينها وتطورها، وهي أرقى ما توصل إليه الإنسان، وهي ملتقى النشاطات الفكرية في وجوده، وكما يقول عمر فروخ: " واللغة عامل مهم في حياة الأمة، وفي توارث خصائصها واستمرار حضارتها، وفي بقاء تراثها، وتطور ثقافتها مستقلة متميزة من كل ما عداها، وذلك عنصر من عناصر بقائها"³.

⁽²⁾- راجع بحوث ملف2 في مجلة "دراسات تاريخية"، جامعة دمشق، العدد 135-136، مجلد عام 2017، ص80-173. يتبيّن أنّ "الحقيقة التاريخية الجوهرية هي: أنّ لغة آدم، الإنسان العاقل الأول، حسب المصادر التاريخية المدنية والدينية، هي العربية بلهجاتها، العرباء والسورية أو السريانية، ومنها الأكادية والكلدانية، التي هي أيضاً لغة الحضارات القديمة الأولى، وأنّ هذه اللغة هي منفردة بين لغات العالم كلّها بكونها لغة البشرية الأم والأقدم والأعنى....". ; انظر أيضاً: فرزات، محمد حرب- مرعي، عيد، دول وحضارات في الشرق العربي القديم، سومر وأكاد، بابل وأشور، أمورو وآرام، ط2، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1994، ص60.

⁽³⁾- فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي، ج1، ط4، دار العلم للملايين- بيروت، 1981، ص33.

ثالثاً - نشأة اللغة العربية الفصحى والآراء في ذلك:

في الواقع إنّ الآراء متعددة وكثيرة في هذا الموضوع، ومن ثمّ يمكننا عرض المهم منها والمضامين الرئيسية، وبناء عليه نبدأ بما يُسمّى بالنظرية التوقيفية، فمنهم من يقول إنها بالوحي، أي أنّ الله علمها لآدم عليه السلام، أي الإنسان العاقل الأول، علمه البيان، علمه الأسماء⁴. والنظرية الاصطلاحية تقول: إن اللغة العربية الفصحى هي من وضع الانسان⁵، وهناك من يشير ولا يستبعد أنّ تكون اللغة العربية هي اللغة (السامية (الأم الفصحى⁶، وهناك من الآراء الأخرى من يعدّ النقوش الثمودية (العرب البائدة)، والنقوش اللحيانية- الديوانية والصفائية والاحسانية، والنقوش النبطية هي البدايات المبكرة، وجميعها تعود زمنياً الى المرحلة السابقة للقرن السابع الميلادي⁷. وهناك أيضاً

⁽⁴⁾ - الدوسري، ترحيب بن ربيعان، نشأة اللغات، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 45، 1429هـ - 2008م، ص239: " الواضع هو الله سبحانه وتعالى، وهو قول جمهور الأئمة من الصحابة والتابعين وتابع التابعين، وطوائف من أصحاب الإمام أحمد كأبي بكر بن عبد العزيز..."; البوريني، عبد الرحمن أحمد، اللغة العربية أصل اللغات كلها، دار الحسن للتوزيع والنشر- عمان، 1998، ص23 وما بعدها.

⁽⁵⁾ - الدوسري، نشأة اللغات، 1429هـ - 2008م، ص239: " الواضع هو البشر، وهو القول بالاصطلاح، وهو مذهب أبي هاشم وأتباعه من المعتزلة وجماعة من المتكلمين"; البوريني، اللغة العربية..، 1998، ص47: " ولعلّ الفترة التي عاش فيها اسماعيل هي نقطة التحول المهمة في تاريخ اللغة العربية، فقد وهبه الله سبحانه وتعالى الفصاحة والبيان، قال رسول الله (ص): فأول من فتح لسانه بالعربية المبينة اسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة".

⁽⁶⁾ - فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي، ج1، 1981، ص36: "... وإذا نحن اعتبرنا اللغة العربية وجنناها أكثر أخواتها الساميات مفردات، وأنتمها صيغاً وأكملها صرفاً ونحواً، وأرقاها بياناً وبلاغة وأحسنها اسلوباً، ومن أجل ذلك لا نستبعد أنّ تكون اللغة العربية هي اللغة السامية الأم الفصحى".

⁽⁷⁾ - موسكاتي، سباتينو - شبتلر، انطون - اولندورف، ادفارد - فون زودن، فلرام، مدخل إلى نحو اللغات السامية، ترجمة: مهدي المخزومي - عبد الجبار المطلبي، عالم الكتب- بيروت، 1993، ص31: " اللغة العربية الشمالية الكلاسيكية تمثلها سلسلة من نقوش تُوْرخ بين القرن الخامس قبل الميلاد والقرن

من الآراء من يرى من الشعر الجاهلي والخطابة والنثر، وغير ذلك من الأمور الأدبية التي تقام في مكة⁸، والتي كانت رمزاً لما يسمى الوحدة السياسية والثقافية بين القبائل، بحيث إن رؤساء القبائل كانوا يقدون إليها، ويحجون إلى البيت الذي قدسوه قبل الإسلام، كما وفدوا للتجارة ولمنافع لهم في أسواق مكة، التي كانت مجالاً للنشاطات الثقافية بين القبائل، وفيها كانت تُعقد المناظرات الأدبية من شعر أو خطاب. ولغة هذه الوحدة الثقافية بين القبائل كانت اللغة الأدبية الممتازة، مختارة الألفاظ، واللغة النموذجية، لغة الخاصة من الناس، وبهذا فإن الوحدة اللغوية بدأت قبل ظهور الإسلام، ونمت وازدهرت، وعرف كثيرٌ من العرب من قبائل مختلفة فصاحة القول وإجادة الشعر. ولهذا قيل: إن القرآن الكريم قد تحدى الفصحاء من العرب، مع الأخذ بالحسبان أن كل قبيلة ظلت تتمسك بلهجتها في الخطاب العادي بين أفرادها بعضهم مع بعض⁹، وأدى هذا كله إلى

الرابع بعد الميلاد تقريباً، وهي الثمودية واللحيانية والصفوية."؛ ولفنسون، اسرائيل، تاريخ اللغات السامية، مدرس اللغات السامية بالجامعة المصرية، لجنة التأليف والترجمة، مصر، 1929، ص137 وما بعدها: " ويجب ألا يغيب عن بالنا أن وجود اللغة الآرامية والكتابة الآرامية عند النبط، الذين كانوا قد اتصلوا اتصالاً مباشراً بالعرب، قد أثر تأثيراً لا يُستهان به في الحضارة العربية الجاهلية، وفي تكوين المادة اللغوية العربية في شمال الجزيرة من ناحية التمدن والعمران، ويتضح لنا ذلك من الخط النبطي وتأثيره في الخط العربي الإسلامي."

⁽⁸⁾ - الأزرق، أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس- بيروت، 1983، ص5-6: " .. وأجمع العلماء على أن مكة المكرمة يرجع تاريخ عمارتها إلى عهد ابراهيم الخليل وابنه اسماعيل عليهما السلام، سنة 1893 قبل الميلاد."؛ العلي، صالح أحمد، تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر- بيروت، 2000، ص129-139: " يرجع تاريخ مكة إلى عهود قديمة، فقد ذكرها بطليموس باسم مكرابو أي المقدسة، مما يدل على قدم قدسيّتها، وبعض النسابين يزعمون أن آدم نزل فيها.....".

⁽⁹⁾ أنيس، ابراهيم، اللهجات العربية، دار الفكر العربي- الاسكندرية، 1999، ص24-30؛ علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8، بغداد، 1993، ص624: " وعرفت العربية الفصيحة بالعربية العالية، وكان علماء اللغة إذا سمو كلمة بسمه الفصاحة، قالوا: كلمة فصيحة وكلمة عالية."؛

نشأة اللغة العربية الفصحى. وهنا تتوزع الآراء في تسمية القبائل صاحبة اللهجات المكوّنة للغة العربية الفصحى، وتشمل المضربية بشكل رئيسي، ولهجات مختلفة تكلمت بها قبائل اليمن والحبشة¹⁰.

وهناك من الآراء الموجودة أيضاً من يرى أن ليس في مقدور الباحث اليوم أن يكشف عن أطوار النشأة الأولى للغة الفصحى، لأن التاريخ لم يسايرها إلا وهي في مرحلة الشباب والنماء¹¹.

ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي 1- العصر الجاهلي، ط11، دار المعارف بمصر- القاهرة، 1960، ص134; موسكاتي وآخرون معه، مدخل إلى نحو...، 1993، ص31: " ... العربية الشمالية الكلاسيكية، العربية المحض موثقة من القرن الرابع الميلادي في نقوش قليلة وفي نماذج حفظها الأدياء الإسلاميون، وقد بلغت نضجها التام في الشعر الجاهلي، وبعد ذلك في القرآن القرن السابع للميلاد."; فرستينغ، كيس، اللغة العربية- تاريخها ومستوياتها وتأثيرها، ترجمة: محمد الشرقاوي، القاهرة، 2003، ص47 وما بعدها; ولفنسون، اسرائيل، تاريخ اللغات السامية، لجنة التأليف والترجمة والنشر 1914، مكتبة الاعتماد بمصر، 1929، ص166: " .. فاللغة العربية الموجودة الآن مزيج من لهجات كثيرة مختلفة اختلط بعضها ببعض، وامتزج امتزاجاً شديداً حتى صار لغة واحدة، بعد أن فنى أصحاب اللهجات وبادوا".

⁽¹⁰⁾- الزيات، أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د.ت، ص13; جواد علي، المفصل، ج8، 1993، ص624; الراجحي، عبده، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، الاسكندرية، 1996، ص141.

⁽¹¹⁾- الزيات، تاريخ الأدب ...، د.ت، ص13-14; ضيف، شوقي، تاريخ الأدب 1...، 1960، ص118: كما يذكر أنه ليس لدينا النقوش التي تعرفنا زمن بداية الفصحى; بيومي، سعيد أحمد، أم اللغات- دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها، دار الكتب المصرية- القاهرة، 2002، ص18: حسب رأيه يقول: " وترجع أصول العربية الفصحى إلى العدنانيين الذين كانوا يقطنون شمالي الجزيرة العربية، وهي تختلف عن عربية الجنوب التي عرفت باللغة الحميرية، وكان يتحدث بها القحطانيون، وأقدم نص عثر عليه مكتوباً باللغة العربية الفصحى يعود إلى القرن الرابع ميلادي، وهو نقش النمارة."; فريحة، أنيس، اللهجات وأسلوب دراستها، دار الجبل- بيروت، 1989، ص15: " من النواحي

لاحظنا كيف أنّ الآراء كانت في أكثر من اتجاه، ولا بدّ هنا من مناقشة كل اتجاه على حدة، والهدف من وراء ذلك هو الوصول إلى نتيجة مقنعة سواءً في حال تبني أحدها، أو في حال اقتراح رأي جديد:

اعتمد أصحاب النظرية التوقيفية، أو من قال بها، بالدرجة الأولى وبشكل أساس على القرآن الكريم، وذلك انطلاقاً من الآية الكريمة: " وعلم آدم الأسماء كلها "،¹² وبناء على ذكر آدم في الآية الكريمة، فهذا يعني أنه بعد خلقه وُجدت اللغة العربية من خلال

المجهولة في تاريخ اللغة العربية نشأتها الأولى، فإننا لا نعرف عنها شيئاً يقينياً...، ثم يتابع ويقول عن الفصحى أنها تشكل الفرع الشمالي من اللهجات في جزيرة العرب: " ... إنّما نريد أن نؤكد أنّ العربية الفصحى لغة مغايرة للغة العربية الجنوبية، وقد فطن إلى هذا الخلاف قدامى اللغويين، فكان أبو عمرو بن العلاء يقول: ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا.."; حسين، طه، الأدب الجاهلي، ط3، القاهرة، 1933، ص80: " ... وهم متفقون أنّ القحطانيين عرب منذ خلقهم الله على العربية، فهم العاربة، وعلى أنّ العدنانيين قد اكتسبوا العربية اكتساباً، وهم المستعربة.."; زيدان، جرجي، اللغة العربية كائن حي، ط2 دار الجبل، بيروت، 1988، ص13: كما يذكر أنه نتيجة للتجارة، وخاصة قريش مع بلدان مختلفة، وبالمقابل كانت تجتمع حول الكعبة أمم مختلفة: " ... فدعا ذلك كلها إلى ارتقاء اللغة بما تولّد فيها، أو دخلها من الاشتقاقات والتركيب، مما لا مثيل له في اللغات الأخرى.."; رايبين، تسييم، اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية، ترجمة: عبد الكريم مجاهد، الأردن، 2002، ص61: " وفيما يتعلق بأصل العربية الفصحى كانت آراء العلماء العرب منقسمة، كأراء الأوروبيين.."; الغوث، مختار، لغة قريش، دار المعراج الدولية للنشر - الرياض، 1418 هـ - 1997م، ص315: " وأنّ العرب لم تكن لهم لغة واحدة، وما ظهرت اللغة الواحدة إلا حين كتب عثمان المصاحف، فألغى تلك اللغات كلها، واعتمد لغة قريش، فزالَت اللغات المخالفة لها، إلا ما يحتمله الرّسم، فظهرت بقايا من اللهجات التي كان يُقرأ بها...."، ثم يتابع ويقول عن اللغة المشتركة ص322: " لقد حسب بعض المستشرقين، أنّ تفضيل الأقدمين للغة قريش على سائر اللغات، معناه أنّ لغتها هي اللغة المشتركة أو المثالية، غير أنّ الأقدمين لم يقولوا هذا، ولم يقل أحد منهم بوجود هذه اللغة، سواء أكانت لقريش أم لغيرها، لا في الجاهلية ولا في الإسلام، ولكنهم قالوا: كان العرب يُنشد بعضهم بعضاً، وكلُّ يتكلم على مقتضى سجيته التي فُطر عليها".

¹² سورة البقرة: الآية 31.

الوحي، وتعلمه إياها، وبالتأكيد هي الفصيحة وليست لهجة قبيلة من القبائل، وضمن هذا السياق فإنّ الأمر الأهم هو العامل الزمني والاتجاه إلى العمق في القدم، بحيث لا نستطيع تسمية زمن محدد من أجل ذلك، ويمكننا حسب مضمون النظرية القول فقط، إنّ اللغة العربية هي لغة الإنسان العاقل واللغة الأولى للبشرية¹³.

ولا بدّ من الإشارة هنا، إلى أن هذا العمق الزمني الموعول في القدم، قد أعطانا المجال والضوء الأخضر أن نأخذ بأي نص قديم يعود الى المراحل اللاحقة زمنياً، ويفيد في مجال بحثنا، وبذلك لا يكون أي اعتراض أو تضارب بين الدين والعلم.

وبالنسبة إلى النظرية الاصطلاحية، وحسب أصحاب الرأي بهذا الاتجاه، أن الإنسان هو من وضع اللغة دون أي وحي، وحسب قول بعضهم، أنه قيل: إنّ النبي ادريس هو واضعها، وهو أول من خطّ بالقلم، وقيل إنّ اسماعيل عليه السلام هو أول من كتب العربية، وأول من فاه بها، ومن ثمّ فإنّ هذا يعطينا أيضاً نحو ألفي عام في فترة ما قبل الميلاد من الحرية، وذلك في اعتماد أي نص قديم مفيد في بحثنا، ويقدم لنا شيئاً عن اللغة العربية¹⁴.

وبناء على هاتين النظريتين (وهنا نضع نوعاً من الافتراض) يمكن القول، سواء كانت اللغة العربية عن طريق الوحي أو من وضع الإنسان، إنّ كل ما سمّي بلغاتٍ قديمة أو

¹³- الفلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص6-7-8; ابن النديم، الفهرست، ص50; عيود، جهاد، الكتابة العربية الحالية- النشأة والأصل (دراسة جديدة)، مجلة دراسات تاريخية- جامعة دمشق، العدد 135-136، 2017، ص243 وما بعدها; البوريني، اللغة العربية...، 1998، ص23 وما بعدها; الدوسري، نشأة اللغات، 1429هـ-2008م، ص239 وما بعدها; سقال، ديزره، العرب في العصر الجاهلي، دار الصداقة العربية- بيروت، 1995، ص59.

¹⁴- السيوطي، المزهر، ج1، ص32-33; البوريني، اللغة العربية...، 1998، ص47 وما بعدها; الدوسري، نشأة اللغات، 1429هـ-2008، ص239 وما بعدها; سقال، ديزره، العرب...، 1995، ص59 وما بعدها.

لهجاتٍ قبليةٍ تفرعت جميعها عن تلك العربية الأولى، والنقطة الأهم هنا لا بدّ أنّها استمرت بعد آدم أو ادريس أو اسماعيل عليهم السلام جميعاً، والدليل على الاستمرارية أنّها كانت اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، ولكن السؤال الذي يبقى أنّها كيف استمرت، ومن هي المجموعة البشرية التي حملتها واستمرت بها بهذا النقاء والصفاء منذ أقدم الأزمنة، إلى أن نزل القرآن الكريم بها؟

وأما بالنسبة إلى الآراء التي عدّت النقوش الثمودية واللاحقة لها زمنياً كاللحيانية والنبطية وغيرها هي العربية المبكرة،¹⁵ فالنقطة الأولى في هذه الآراء، أنّها حصرت اللغة العربية ضمن مدة زمنية محددة لا تتجاوز الأربعة قرون من الزمن، وفي الوقت نفسه حصرتها أيضاً ضمن مساحة جغرافية محددة، وهي القسم الشمالي من الجزيرة العربية وصولاً حتى بادية بلاد الشام¹⁶، وهذه المنطقة كلّها تتصف بالطبيعة الصحراوية وشبه الصحراوية، والمنكلمون بها هم القبائل المتنقلة بشكل دائم عبر هذه المنطقة، وإنّ أقاموا كنوع من مراكز الاستقرار والمراكز السياسية، فتبقى ضمن البوادي على أطراف المناطق الحضرية، سواءً ضمن الجزيرة العربية، أو في بلاد سوريا القديمة، أو في بلاد الرافدين، وعدم إعطائها العمق الزمني إذ إنّ أقدمها يعود إلى مرحلة القرن الأول قبل الميلاد¹⁷،

¹⁵- سنأتي بالتفصيل عنها.

¹⁶- زُبرت، هيلند، تاريخ العرب في جزيرة العرب من العصر البرونزي إلى صدر الإسلام- 3200 ق.م- 630 م، ترجمة: عدنان حسن، بيروت، 2010، ص264: يقول: "لقد كان الموطن العربي شمالي جزيرة العرب ووسطها، ويمتد من أطراف الهلال الخصيب جنوباً إلى حدود اليمن، ومن جبال غربي جزيرة العرب شرقاً إلى دهناء الربع الخالي...".

¹⁷- فرستينغ، كيس، اللغة العربية...، 2003، ص39: "... ولكن عندما ضعفت الممالك اليمنية تدخل البدو، وبدأوا يسيطرون على تدفق التجارة بأنفسهم، وأول مرحلة من مراحل هذا التطور كان قيام مدن القوافل في تدمر والبتراء، ولكن الامبراطور تراجان احتل المملكة النبطية عام 106م، وحل محلها ملوك تدمر، وسقطت بدورها على يد الرومان 272م، وبعد القرن الثالث الميلادي سيطر التنافس بين القوى الثلاث، بيزنطة وفارس ومملكة حمير (آخر الممالك العربية الجنوبية) على مسرح الأحداث، وكان لكل

وبهذا لا يكون للغة العربية أية علاقة مباشرة بأصحاب المراكز الحضارية القديمة في الألف الثالث والثاني والأول قبل الميلاد على مستوى بلاد سوريا القديمة والرافدين ومناطق أخرى أيضاً.

أما النقطة الثانية ونكرانها أيضاً، هي عدم الأخذ بالحسبان نهاية تلك المراكز السياسية القديمة والسؤال إلى أي المناطق انتقل سكانها، والجواب بطبيعة الحال بسيط جداً، وهو أنهم بقوا ضمن المنطقة والمساحات المفتوحة أمامهم، وذلك بدءاً من بلاد سوريا القديمة والرافدين وصولاً حتى جنوب الجزيرة العربية، والنقطة الثالثة التي لم تُؤخذ بالحسبان، أو لم تُذكر على الإطلاق، وهي أنّ نهاية أي مركز سياسي لا تعني نهاية سكانه ولغتهم، وإنما الاستمرار الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، وهذا يعني الاستمرار

قوة من القوى حليفها من بين البدو العرب، فقد كان للخميين حلفاء الفرس، وكان الغساسنة حلفاء الرومان، وكانت مملكة كندة حليفة الحميريين، وفي القرنين الخامس والسادس تغير الوضع السياسي كلّه بعد سقوط مملكة حمير عام 525م إثر الغزو الحبشي، وبعد الحرب الضروس بين الفرس والروم التي أضعفت الطرفين، أدى ذلك إلى قيام مراكز تجارية داخل شبه الجزيرة العربية، مثل مكة التي أصبحت بالفعل مركزاً ثقافياً ودينياً يؤمه العرب البدو، والتي انتهزت فرصتها السانحة للسيطرة على تجارة القوافل، ولذلك أصبحت قريش أقوى تجمع قبلي في مكة.؛ ديسو، رنيه، العرب في سوريا قبل الإسلام، ترجمة عبد الرحمن الدواخلي، القاهرة، 1959، ص3-4: "ومن الخطأ أن يعتقد الإنسان أنّ دخول العناصر العربية إلى الشام يرجع زمنه إلى الفتح الإسلامي.....، ويجب ألا نفهم من كلمة "عرب" سكان الجزيرة العربية فحسب، ولكنها تتناول أيضاً البدو الذين يجوبون وسط الجزيرة العربية وشمالها وبادية الشام كلّها التي تمتد نحو الشمال حتى نهر الفرات.؛ العلي، صالح أحمد، تاريخ العرب...، 2000، 57-139: لقد تحدث بالتفصيل عن الممالك العربية في العصر الجاهلي - القسم الشمالي من شبه الجزيرة العربية- وهي كالاتي: ميسان أو دولة الكرج عند شط العرب (أواخر القرن الثاني قبل الميلاد)، الحضرمي في أعالي العراق (القرن الأول قبل الميلاد)، دولة الأباجرة في الرها- الجزيرة الفراتية (أواخر القرن الثاني قبل الميلاد)، مملكة كندة في أواسط الجزيرة العربية (القرن الخامس ميلادي)، الغساسنة جنوب سوريا (القرن الخامس ميلادي)، المناذرة في الحيرة العراق (القرن الثالث الميلادي)، مكة بدأ النفوذ يزداد فيها منذ القرن الخامس للميلاد.

في الاختلاط مع الآخرين، ومن ثمَّ التأثير والتأثر في مختلف النواحي وأهمها اللغة، والدلائل اللغوية على الاختلاط المستمر هي كثيرة جداً، وفي النهاية بالنسبة إلى القبائل سواءً التي بقيت داخل الجزيرة العربية، أو التي انتقلت منها، وأياً كان اسمها، هي تلك المجاورة لبعضها بعضاً، والمتداخلة ببعضها بعضاً، سواءً سُميت بالعربية أو بالأكدية أو البابلية، أو الآرامية- السريانية، أو الأوجاريتية، أو اليمينية، أو الحجازية، أو المصرية ... الخ، ولذلك يجب علينا ألا ننسى ذلك التجاور والتداخل الثقافي عبر الزمن الطويل، ومن الدلائل على أرض الواقع، نرى أنّ أوجاريت مثلاً كتبت نصوصها باللهجة الأكدية¹⁸، وفي الوقت نفسه بأبجديتها ولهجتها أيضاً¹⁹، رغم غياب الإمبراطورية الأكدية عن الوجود، والآشورية هي امتداد للأكدية والبابلية أيضاً، ويجب ألا ننسى أيضاً النصوص الأكدية المكتشفة في تل العمارنة جنوب القاهرة (القرن الرابع عشر قبل الميلاد)،²⁰ والخط المسند الذي ظهر في نهايات الألف الثاني وبدايات الألف الأول قبل الميلاد في اليمن، وهو الامتداد للشكل المسماري (بنوع من التطوير والتبسيط) لأبجدية مملكة أوجاريت (الألف الثاني قبل الميلاد)²¹، وانتشاره حتى شمال الجزيرة العربية، ومن خلال التطوير المستمر كانت نشأة الكتابة العربية بشكلها الحالي²².

⁽¹⁸⁾ - انظر مثلاً: PRU: III- IV

⁽¹⁹⁾ - انظر مثلاً: KTU

⁽²⁰⁾ - Aboud, J., Die Rolle des Konigs und seiner Familie nach den Texten von Ugarit, FARG. B. 27, Ugarit Verlag- Munster, 1994, S.45-50.

⁽²¹⁾ - M. Pope, Das Ratsel der alten Schriften, S. 134- 137, Oxford, 1973;
Segert, J., A Basic Grammar of the Ugaritic Language with selected Texts and Glossary, Los Angeles- California, 1984, P. 19- 21.

⁽²²⁾ - عبود جهاد، الكتابة العربية الحالية...، 2017، ص240 وما بعدها.

إذاً بهذا المختصر من المعلومات الذي ذكرناه، والمناقشة البسيطة، أصبح لدينا القاعدة الأساسية دون أدنى شك، وذلك في إمكانية الرد على من قَرَم المساحة الجغرافية لبدايات اللغة العربية المبكرة، أو الأرض التي نشأت عليها، وتقزيم الزمن أيضاً وحصره بعدد من القرون القليلة لنشأتها، أو حصر تلك النشأة في عدد محدد من القبائل شبه المجهولة، ومن حيث اللهجة أيضاً، وفضلاً عن ذلك، فهم من وصف تلك النقوش المكتشفة الخاصة بها، أنّها قصيرة ومحصورة في ذكر أسماء الأعلام وأسماء القبائل (فروعها)، وأسماء الآلهة فقط..، ومن ثمّ لا تقدم هذه النقوش الفائدة المطلوبة في موضوع دراسة اللغة العربية القديمة (المبكرة)²³.

رابعاً- النقوش الثمودية واللحيانية والصفوية والنبطية:

علينا بالطبع أن نعرّف بهذه القبائل قبل التعريف ببعض نقوشها التي سنعرض نماذج منها، ومعها مقابلها بالعربية الفصحى:

1- الثموديون:

هم قوم ثمود من العرب الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، وكان هؤلاء ينتشرون في مناطق واسعة، وذلك في حائل بنجد، وفي تبوك ومدائن صالح والطائف والساحل الشرقي للبحر الأحمر في أعالي الحجاز، وبلاد الشام في منطقة الصفا، وفي طور سيناء، وفي مصر وادي الحمامات، وهذا ما دلت عليه النقوش المكتشفة في تلك المناطق التي تزيد على ألفي نقش.

²³- انظر مثلاً: فرستينغ، كيس، اللغة العربية...، 2003، ص40: " وقد سميت لغة تلك النقوش بالعربية الأم أو العربية المبكرة...، ونظراً إلى أنّ تلك النقوش مشرّمة في غالبيتها، ولا تحتوي على أي مادة سوى أسماء الأعلام، فإنّ تحديد هوية اللغة المستخدمة في تلك النقوش أمر صعب جداً...".

فضلاً عن القرآن الكريم فقد ورد ذكر الثموديين في نص يعود للملك الآشوري سرجون الثاني(721-705 ق.م)، وفي هذا النص " 715 ق.م " سجّل انتصاره وقال: إنّه هزم قبائل ثمودي، وابابيدي، ومرسمان، ثمّ أخذ من بقي منهم حياً وأسكنهم السامرة²⁴.

وفي نص آخر للملك أسر حدون (680-669 ق.م) يذكر فيه أنّه أخضع ادماتو- دومة الجندل(الجوف)، وأسر أصنام الشعوب التي كانت تعيش هناك.

فضلاً عما ذكر فقد ورد أيضاً اسم ثمود في مؤلفات الإغريق واللاتين، وهذه النقوش قد كُتبت بالخط المسند، كما هو الحال في النقوش اللحيانية والصفوية، والنبطية وحدها قد استخدمت في نقوشها الخط الآرامي، والمجموعات الخاصة بالنقوش الثمودية هي عبارة عن خمس مجموعات مرتبة زمنياً بدءاً من القرن الخامس قبل الميلاد، حتى القرن الخامس الميلادي²⁵.

²⁴- إنّ أول ذكر للعرب (الأعراب) كاسم جاء في نص آشوري (853 ق. م) يعود للملك شلمانصر الثالث، ويسمي فيه رجلاً اسمه جنديبو من أرض العربي أو العربية، أنّه أحد أعدائه، انظر: فرستينغ، كيس، اللغة العربية...، 2003، ص38؛ العلي، صالح أحمد، تاريخ العرب...، 2000، ص17.

²⁵- عن موضوع الثموديين انظر: فرستينغ، كيس، اللغة العربية، 2003، ص38-41؛ ديسو، رنيه، العرب في سوريا....، 1959، ص65؛ نيلسن، ديتلف- هولم، فرتز- رودوكاناكيس، ل. - جرومان، أدولف، التاريخ العربي القديم، ترجمة فؤاد حسين علي، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، 1958، ص37-45؛ سقال، ديزيرة، العرب في العصر الجاهلي، دار الصداقة العربية- بيروت، 1995، ص31، 62؛ الروسان، محمود محمد، القبائل الثمودية والصفوية- دراسة مقارنة، ط2، مطابع جامعة الملك سعود، السعودية، 1992، ص4، 17 وما بعدها؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النفائس- بيروت، 2009، ص109؛ الدرويش، محمود جاسم، اللهجات العربية البائدة وعلاقتها بعربية القرآن الكريم، جامعة عمر المختار، المختار للعلوم الإنسانية، العدد الثاني، 2004، ص23؛ رُبرت، هيلند، تاريخ العرب....، 2010، ص28-31، 97؛ سليم، أحمد أمين، جوانب من تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة، الاسكندرية، 1997، ص79.

ومن المناسب أن نذكر هنا أن القبائل في الزمن اللاحق، أو ما سُميت بالعرب الباقية من قحطانية (العارية)، أو من عدنانية (المستعربة)، هي امتداد للقبائل الثمودية من حيث النسب والأصل²⁶.

وضمن هذا السياق فمن الضروري ذكر العامل التجاري الذي كان السبب الرئيس في انتشار القبائل الثمودية على امتداد الطرق التجارية، بدءاً من جنوب الجزيرة العربية إلى شمالها، ومنها إلى دمشق وتدمر وصولاً حتى بابل، ووصولاً حتى مصر، وتمتد هذه الطرق أيضاً إلى آسية الصغرى ومنها إلى أوروبا.

ك نماذج من النقوش الثمودية نذكر الآتي:

أ- هعثر سمن ودد هون: المقابل بالفصحى: يا عثر سمن السلام لهون²⁷.

ب- ذن عد منث: المقابل بالفصحى: هذا عوذ منات.

ج- ذن ملح: المقابل بالفصحى: هذا مليح²⁸.

د - بالهي تضات: المقابل بالفصحى: يا إله الضياء والنور.

هـ - رضو سعدن عل ودد: المقابل بالفصحى: يا رضو ساعدني على حبي²⁹.

و- نكر اله سلم: المقابل بالفصحى: ليذكر الإله سالم.

ز - ذكرت لت: المقابل بالفصحى: ولتذكر اللات³⁰.

⁽²⁶⁾- الروسان، القبائل الثمودية والصفوية....، 1992، ص94-123.

⁽²⁷⁾- المرجع نفسه، ص67.

⁽²⁸⁾- المرجع نفسه، ص67.

⁽²⁹⁾- المرجع نفسه، ص68.

⁽³⁰⁾- المرجع نفسه، ص69.

ح- لضب بن عصم ذال تم ووجم على خلد اخته منت ترحت وغمت م مت: المقابل بالفصحى: ضب بنعاصم من قبيلة تيم ولحد قبر اخته خلود التي ماتت ودفنت وكان حزينا وكانت تكره الموت³¹.

ط- عبار بن خلد وقلط: المقابل بالفصحى: عبار بن خالد وحلق شعره، (قلط: حلق شعر رأسه)³².

2- اللحيانيون:

هم من القبائل العربية البائدة، والمرجح أنّ سكنهم في مرحلة ما قبل الميلاد كانت منطقة شمال الحجاز، وعن أصل هذه القبائل هناك نوع من الغموض وعدم الوضوح، ولكن من خلال النقوش (حسب الآراء)، فإنّ اللهجة اللحيانية تنتمي إلى العربية الشمالية.

وبالنسبة إلى النقوش اللحيانية فإنّ أقدمها يعود إلى النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد، والمكان الذي أكتشفت فيه هو واحة الديدان المعروفة حالياً بالعلّى، والواقعة على بعد 300كم إلى الشمال الغربي من المدينة المنورة، ولهذا الموقع أهمية كبرى على طريق التجارة آنذاك، ولا بدّ من الإشارة هنا، إلى أنّ هذه النقوش سُمّيت باللحيانية والديدانية، ويعود ذلك للتمييز بينها، إذ إنّ الأقدم هي الديدانية وتشير بدورها الى ملوك ديدان، أمّا اللحيانية فهي تشكّل معظم النقوش البالغ عددها أكثر من 500 نقش، وتشير بدورها الى ملوك لحيان، وهي تنتمي للمرحلة بين القرن الرابع قبل الميلاد والأول الميلادي.

⁽³¹⁾- المرجع نفسه، ص85.

⁽³²⁾- المرجع نفسه، ص86.

وكما ذكرنا عند الحديث عن الكتابة الثمودية بأنها مأخوذة عن الخط المسند، فكذلك هو الحال بالنسبة إلى النقوش اللحيانية، فقلّمتها مشتق من قلم الخط المسند:³³

كمثال عن اللهجة اللحيانية نعرض النص الآتي:

النص: حيو هدقو هصلمن هذه ذنذر لعجلين ابهم خر جذعبت فرضهم واخرتهم وسعدهم سنت تلتن وخمس برأى منعى لذن بن هناس ملك لحين سلمه ب هصع وخرج بن... بضض هفر ذبخ.

المقابل بالفصحى: حيو قدّم هذا الصنم الذي نذره ابوهم خر جذعبت لعجلين للرضى عنهم في دنياهم وفي آخرتهم ولسعدهم، سنة خمس وثلاثين من حكم منعي لودان بن هانواس ملك لحيان سلمه، ب الصانع وخرج بن... الكاتب ليذكر بخير.³⁴

3- الصفويون: (أهل الصفا):

لايبدأ من القول في البداية، إنّ ما سُمّي بالنقوش الصفوية هو بالقلم المسند، وأبجديتها المؤلفة من ثمانية وعشرين حرفاً، ليست خاصة بقوم أو قبيلة، ولم تكتشف أيضاً في موقع معين، وإنّما في مواقع متعددة منها الصفا، كذلك الأردن وبادية الشام وأعلى الحجاز ومواقع أخرى.

وإنّ هذه التسمية (الصفوية) أوجدها المستشرقون منذ القرن التاسع عشر، كما أوجدوا تسمية الكتابات اللحيانية والثمودية، وقد نسبوها إلى الصفا في بلاد الشام، وبلغ

³³- فرستينغ، كيس، اللغة العربية...، 2003، ص41؛ نيلسن وآخرون معه...، التاريخ العربي...، 1958، ص40-44؛ سقال، ديزيره، العرب في...، 1995، ص62؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النفائس- بيروت، 2009، ص109؛ الدرويش، اللهجات العربية البائدة وعلاقتها بعربية القرآن، جامعة عمر المختار، المختار للعلوم الإنسانية، العدد الثاني، 2004، ص7-8.

³⁴- الدرويش، اللهجات العربية البائدة...، 2004، ص8، 13-22: " ولم يتقيد كتاب اللحيانية والديديانية تقيداً تاماً بكتابة الفواصل العمودية التي تستعمل المفصل بين الكتابات، كما تقيد بها كتاب المسند".

عددها 15 خمسة عشر ألفاً من النقوش في الصفا وشمال المملكة العربية السعودية، ويرجع تاريخ هذه النقوش الى المرحلة ما بين القرنين الأول قبل الميلاد إلى القرن الثالث الميلادي، وتحوي غالباً على مجرد أسماء³⁵.

ويجب القول: إنّ النقوش الصفوية في مجموعها هي قريبة جداً خطأً ولغةً من الثمودية، وهي تمثل صورةً من الخط العربي الجنوبي، والصفويون هم من أصل عربي جنوبي، ويشكل عام فإنّ الكتابات الصفوية إنّ طالت أو قُصرت، فإنّها تتناول في مضمونها أموراً شخصيةً، وهي أيضاً حافلة بالأنساب وأسماء الأعلام، وأسماء الآلهة والنبات والحيوان³⁶، وهذه بعض نماذج من كتابات النقوش الصفوية:

أ- ل امر بن نبط بن رمح هخبط: المقابل بالفصحى: بواسطة امر بن نبط بن رميح هذا الرسم³⁷.

ب- قدن بن اوس بن ادم بن سعد وغيب من هوكلت: المقابل بالفصحى: قدن بن اوس بن ادم بن سعد وغاب عن مستودع البيت³⁸.

ج- ل شعبن بن جمل بن شعبن بن اس ونفر من رم: المقابل بالفصحى: شعبان بن جمل بن شعبن بن اوس وهرب من الرومان³⁹.

³⁵- فرستيج، كيس، اللغة العربية...، 2003، ص42- 43؛ ديسو، رنيه، العرب في...، 1959، ص62، 87؛ نيلسن وآخرون معه، 1958، ص46- 49؛ سقال، ديزيره، العرب في...، 1995، ص62؛ الروسان، القبائل الثمودية والصفوية، 1992، ص197 وما بعدها؛ طقوش، تاريخ العرب قبل...، 2009، ص109؛ الدرويش، اللهجات العربية البائدة...، 2004، ص30؛ ولفنسون، تاريخ اللغات...، 1929، ص170- 189.

³⁶- عن القبائل الصفوية انظر: الروسان، القبائل الثمودية والصفوية...، 1992، ص264- 353: " القبائل الصفوية هي جزء من القبائل العربية عامة، والقبائل الشمالية خاصة."

³⁷- الروسان، القبائل الثمودية والصفوية، 1992، ص246.

³⁸- المرجع نفسه، ص246.

³⁹- المرجع نفسه، ص246.

د- سنت مردت نبط عل ال رم: المقابل بالفصحى: في السنة التي تمرت فيها الأنباط على الرومان⁴⁰.

هـ- سنت حرب جشم ال ثمد: المقابل بالفصحى: في السنة التي حاربت جشم ضد ثمود- الثموديين⁴¹.

و- ل مطى بن خزن ومرد عل رم سنت اتى همذى بصرى فهلت سلم: المقابل بالفصحى: ماطي بن خازن وثار ضد الرومان في السنة التي جاء بها الفرس إلى بصرى، فيا اللات السلام. (كان مجيء الفرس الى بصرى سنة 614م.)⁴².

4- الأنباط:

بالنسبة إلى الأنباط وحسب بعض الآراء، أنهم كانوا من العرب الشماليين ويتكلمون العربية الشمالية⁴³، ولهم لهجتهم الخاصة بهم، مثلهم مثل بقية القبائل المنتشرة في المنطقة ولهجاتها الخاصة بها أيضاً، ولكن كان للأنباط حالتهم الخاصة بالاختلاط مع

⁽⁴⁰⁾ - المرجع نفسه، ص 259.

⁽⁴¹⁾ - الروسان، القبائل التمودية والصفوية...، 1992، ص 259.

⁽⁴²⁾ - المرجع نفسه، ص 260.

⁽⁴³⁾ - بالنسبة إلى دولة أو مملكة الأنباط، فإن أقدم ملك يعود تاريخه إلى سنة 169 ق.م، وهو الملك الحارث الأول، وهذه الدولة سقطت على يد الامبراطور الروماني تراجانوس عام 106 م، واختلط سكانها مع السريان أو الآراميين على حدود فلسطين وسوريا، وكان من نتائج السقوط تحوّل الطريق التجاري إلى تدمر: انظر: فرستينغ، كيس، اللغة العربية...، 2003، ص 38؛ سقال، ديزيره، العرب في...، 1995، ص 36-37؛ العلي، صالح أحمد، تاريخ العرب...، 2000، ص 43؛ سليم، أحمد أمين، جوانب من تاريخ...، 1997، ص 180؛ ولفنسون، تاريخ اللغات...، 1929، ص 134: " ظهرت الدولة النبطية على أنقاض المملكة الآدمية، وكانت عاصمتها سلع ومعناها الصخرة، وبالبيونانية بترأ، وامتدت إلى البادية السورية وشملت دمشق وأطراف نهر الفرات، وتوغلت في بلاد الحجاز أيضاً...".

الآراميين وتبنيهم الخط الآرامي واللهجة العربية السريانية- الآرامية، وتدوين كتاباتهم بها، وهذا ما دفع بعضهم إلى القول، إنّ ذلك حرم الباحث من الحصول على نصوص بلهجات عربية قديمة، لما لها من فائدة في دراسة تطور اللهجات العربية عامة، واللهجة التي نزل بها القرآن الكريم خاصة، وأتته لا يوجد من تلك النصوص العربية المدونة باللهجات العربية الشمالية، القريبة من عربية القرآن الكريم سوى بضعة نصوص، ويؤكدون أنّ هذه اللغة ليست لغة عرب الجنوب الذين كانوا يتكلمون بلهجات تختلف عن لهجة القرآن الكريم، وعن عربية الشعر الجاهلي⁴⁴.

ولكن هناك من الآراء من يقول العكس تماماً، بحيث إنّ الأنباط قوم هاجروا الى الشام من اليمن، وهناك بعض النقوش اليمنية تذكر اسم نبط و" نبطر " كقبائل يمنية، ومن

(44)- فرستينغ، كيس، اللغة العربية...، 2003، ص44- 45؛ نيلسن وآخرون معه، التاريخ العربي...، 1958، ص40 وما بعدها؛ العلي، صالح أحمد، تاريخ العرب...، 2000، ص50- 51؛ طقوش، تاريخ العرب...، 2009، ص110؛ الدرويش، اللهجات العربية البائدة...، 2004، ص6؛ رُبرت، تاريخ العرب...، 2010، ص236؛ موسكاتي وآخرون معه، مدخل إلى...، 1993، ص31؛ ولفنسون، تاريخ اللغات...، 1929، ص134- 136: كما يذكر أنّ المستشرقين بذلوا جهوداً كبيرة، ولكن دون جدوى في البحث عن المواطن الأصلية للنبط قبل وجودهم في طور سيناء...، ويرون أنّ أقوام النبط ليست بأرامية خالصة، ... وتدل النقوش النبطية أنّ لغتها تشمل على ألفاظ كثيرة من اللغة العربية...، وهذا نتيجة لاختلاطهم بالعرب اختلاطاً عنصرياً، ... ويذكر أيضاً أنّ طائفة أخرى من المستشرقين ترى أنّ النبط قوم أعراب كانوا يستعملون الكتابة الآرامية في النقوش وسائر الشؤون العمرانية. وهو يرى ويقول: إنه لا يستطيع أنّ يعتقد أو يرجح أنّ النبط جميعهم كانوا عرباً خالصاً أو آراميين صرفاً.

ثمّ يتابع ويقول: " ويظهر أنّ النبط الذين ذكرهم العرب (المصادر العربية)، كانوا يلهجون بلهجات عربية كانت تبرز فيها العجمة بروزاً واضحاً، حتى اعتقد العرب أنّهم شوّهوا اللغة العربية، وأدخلوا كثيراً من الاصطلاحات الأجنبية واللكنة النبطية، وهناك أدلة مأخوذة من مصادر عربية تثبت نفور العرب من هذه الرطانة العربية النبطية."

هذه النقوش نقش وُجد في قرناو الجوف، ويعود تاريخه إلى القرن السابع قبل الميلاد
باللهجة المذايبية، ومذكور فيه عهد الملك نبط كرب:

النص:

- ي ع ث ت ر / ب ن / ع م ذ خ ر / ذ ي خ ب ز ن / س ل ا / م ت ب ق ب
ض / ي و م / ق ي ن / م ر ا س / ذ ح ر ب / ب ا ل ا ل ت / م ع ن / و ب /
ع ث ت ر / ن ك ر ح / ب ي و م / و ق ه ا ل / و ن ب ط / ك ر ب / .
والمقابل بالعربية الفصحى هو الآتي:

- يعنثر بن عم ذخر ذي خبز ان أهدي عنثر متقبض (حين) في الوقت الذي كان
وكيلاً لسيدة ذي حرب ... بحق آلهة معين وعنثر نكرح وذات حميم وبحق عم ذخر
في عهد الملكين " وقه إل " ونبط كرب⁴⁵.

ولدينا أيضاً النصوص النبطية المكتشفة في بلاد الشام، المكتوبة بالخط النبطي
واللهجة النبطية- الآرامية، وهذه النقوش في الواقع هي عبارة عن خمسة نصوص، وهي
الآتية:

أ- نقش ام الجمال: (غرب حوران) يعود تاريخ هذا النقش إلى سنة 270 م، وقد
وجد مكتوباً بخط نبطي وباللهجة نبطية (سريانية- آرامية) على قبر فهر بن
سلي، الذي كان مريباً للملك جذيمة ملك تنوخ:

⁴⁵- عن النص وترجمته انظر: التيمي، توفيق محمد السامعي، اللغة اليمنية في القرآن الكريم، الهيئة
العامة للكتاب- صنعاء، 2012، ص85، ويقول: " ... أن الأنباط قوم هاجروا إلى الشام (جنوب
فلسطين) وتدمر والبتراء من اليمن، وهناك بعض النقوش اليمنية ذكرت قبل التاريخ المذكور للأنباط ()
القرن الخامس قبل الميلاد)، اسم نبط، ونبطر، كقبائل يمنية وآلهة في الجوف من أن سيدهم نبط
كانت ملوكاً، ثم في وقت متأخر صارت آلهة، وعند هجرتهم أخذوا لغتهم وكتاباتهم معهم، مما يعني
أنهم ما زالوا يستعملون اللغة اليمنية القديمة مع احتكاكاتهم بلغات الشمال والتأثر بها لاشك، ونبط كذلك
من الأسماء اليمنية الشهيرة، ومنها أسماء كهنة وسدنة لعبادات."

- دنه نفسو فهرو: المقابل بالفصحى: هذا قبر فهرو .
- بر سلى ريو جذيمت: المقابل بالفصحى: ابن سلى مربي جذيمة⁴⁶.
- ملك تنوخ: المقابل بالفصحى: ملك تنوخ⁴⁷.
- ب- نقش النمارة: (شرقي جبل العرب) : يعود تاريخ هذا النقش إلى سنة 328م، وقد كتب شاهداً على قبر أحد ملوك الحيرة (المناذرة)، واسمه امرؤ القيس بن عمرو، وكان هذا النقش بالخط النبطي واللهجة النبطية السريانية- الآرامية:
- تي نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو اسر التج: المقابل بالفصحى: هذا قبر امرؤ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي تقلد التاج.
- وملك الاسدين ونزرا وملوكهم وهرب مذحجو عكدي وجا: المقابل بالفصحى: وملك (أخضع قبيلتي) أسد ونزار وملوكهم وشتت (هزم) مذحجاً بالقوة وجاء.

⁴⁶- العلي، صالح أحمد، تاريخ العرب القديم...، 2000، ص 110 وما بعدها: عن المناذرة: " ومن ملوكهم الأوائل: كان مالك بن فهم وعمرو بن فهم، وجذيمة الأبرش الذي عاش في أواخر عهد الدولة البيثية، وشهد انحلالها وسقوطها، ولما ظهرت الدولة الساسانية لم يخاصمها... وبموت جذيمة انتقل الملك إلى ابن أخته عمرو بن عدي بن نصر، الذي يُعد مؤسس أسرة آل لخم، التي انحدر منها ملوك المناذرة... وأعقب عمرو ابنه امرؤ القيس سنة 288-328 م ; انظر أيضاً: زيدان، جرجي، العرب قبل الإسلام، طبعة جديدة راجعها وعلق عليها حسين مؤنس، دار الهلال- القاهرة، د.ت، ص196; طقوش، تاريخ العرب...، 2009، ص387-390: " أقام التنوخيون في الحيرة في ظل النفوذ الفارسي،.... ملوك الحيرة التنوخيين: مالك بن فهم، عمرو بن فهم، وجذيمة الأبرش...، وعاصر جذيمة انهيار الدولة القرثية، وقيام الدولة الساسانية، وهو معاصر لزنوبيا ملكة تدمر،.... ملوك الحيرة اللخمييين (المناذرة): أول ملك عمرو بن عدي 268-288 م."

⁴⁷- انظر: سقال، ديزيره، العرب في ...، 1995، ص65; طقوش، تاريخ العرب ...، 2009، ص113: " ... أنه النص الجاهلي الوحيد الذي يرد فيه اسم الملك جذيمة ملك تنوخ."; ولفنسون، تاريخ اللغات...، 1929، ص138.

- بزجي في حبيح نجرن مدينة شمر وملك معد ونزل بنيه: المقال بالفصحى: إلى نزجي في حبيح نجران مدينة شمر، وملك معد وأنزل (ولّى) بنيه.
- الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه: المقابل بالفصحى: الشعوب، ووكله الفرس والروم، فلم يبلغ ملك مبلغه.
- عكدي هلك سنة 223 يوم 7 بكسلول بلسعد ذو ولده: المقابل بالفصحى: في القوة (العكد)، هلك سنة 223⁴⁸ يوم 7 من كسلول (كانون الأول، وحسب بعضهم أيلول)، ليسعد الذين ولداهم⁴⁹.
- ج- نقش زيد: (جنوب شرق حلب بين قنسرين ونهر الفرات) : وجد هذا النقش على باب أحد المعابد، ويعود تاريخه إلى سنة 512 م، وقد كُتِب بالعربية والسريانية واليونانية:

⁴⁸- كان أهل الشام وحران وما يليهما يؤرخون في ذلك العهد بالتقويم البصري نسبة إلى بصرى عاصمة حران، وهو يبدأ بدخولها في حوزة الروم سنة 105 للميلاد، فإذا أُضيفت إلى 223 كان المجموع 328 للميلاد، وهي السنة التي تُوفي فيها هذا الملك، انظر: زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، طبعة جديدة راجعها وعلق عليها شوقي ضيف، دار الهلال- القاهرة، د. ت، ص 28.

⁴⁹- فرستينغ، كيس، اللغة العربية...، 2003، ص 48-50: "أشهر النقوش العربية المكتوبة بخط غير عربي هي نقوش النمارة... ويتابع: إن أهمية النقوش اللغوية ليست كبيرة جداً، بقدر أهميتها الوثائقية، وذلك لأنها تبين لنا العربية في مراحلها الأولى."؛ ديسو، العرب في...، 1959، ص 33-36، 86: "اللغة الصفوية لهجة عربية قريبة من لغة القرآن، وهي عربية الكتابة كما يدل على ذلك نقش النمارة."؛ نيلسن، ص 47: كما يذكر عن يسو من أجد أبحاثه: " أما النبطيون والتدمريون ... وغيرهم من الشعوب السامية الشمالية، فقد كانوا فيما يُظن عرباً، إلا أنهم في الوقت الذي عرفناهم فيه كانوا قد أخذوا كتابة ولغة وعقائد الساميين الشماليين.."، وعن النقش انظر ص 49؛ سقال، ديزيره، العرب في...، 1995، ص 66؛ طقوش، تاريخ العرب قبل...، 2009، ص 113-114؛ زيدان، جرجي، تاريخ آداب...، ج 1، د. ت، ص 28؛ رُبرت، تاريخ العرب...، 2010، ص 237: " نقش النمارة نص مؤلف باللغة العربية القديمة، باستعمال الخط النبطي".

- ... م الاله سرحو بر امت منفو وهنى بر مر القيس: المقابل بالفصحى: باسم الاله سرحو بن امت منفو، وهنى بن امرؤ القيس،

- وسرحو بر سعدو وسترو وشريحو بتميمي: المقابل بالفصحى: وسرحو بن سعدو وستر وشريح أتموا⁵⁰.

د- نقش حران: (المنطقة الشمالية من جبل العرب) : وجد هذا النقش فوق باب كنيسة صاحبها شرحيل بن ظلمو، ويعود تاريخه إلى سنة 568م:

النص: انا شرحيل بر ظلمو بنيت ذا المرطول سنة 463 بعد مفسد خبير بعم: المقابل بالفصحى: أنا شرحيل بن ظلمو (ظالم) بنيت الكنيسة سنة 463 بعد مفسد خبير بعام⁵¹.

ه- نقش أم الجمال الثاني:(المكان أم الجمال نفسها،لذلك سُمي بأَم الجمال الثاني): يُعدُّ هذا النقش أحدث ما عُثر عليه من كتابات بالخط النبطي، ويعود تاريخه الى أواخر القرن السادس الميلادي، وكما يقول جواد علي في المفضل: " وإذا صح أنّ الكتابة المعروفة ب (أم الجمال) الثانية، هي كتابة جاهلية أصيلة،

⁵⁰- فرستيج، اللغة العربية...، 2003، ص50; نيلسن وآخرون معه، التاريخ العربي...، 1958، ص49; طقوش، تاريخ العرب قبل...، 2009، ص115-116; ولفنسون، تاريخ اللغات...، 1929، ص190-191.

⁵¹- فرستيج، اللغة العربية...، 2003، ص50; نيلسن وآخرون معه، التاريخ العربي...، 1958، ص49; ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي...1، 1960، ص35-36; طقوش، تاريخ العرب قبل...، 2009، ص116; ولفنسون، تاريخ اللغات...، 1929، ص192: " نقش النمارة آرامي أكثر منه عربي، وزيد فيه كلمة عربية واضحة وهي الإله، وحران عربي كامل".

تكون أول نص يمكن أن نعدّه بحق وبحقيقة من النصوص المدونة بلغة القرآن والشعر الجاهلي..⁵².

النص: (كما ورد في المراجع قراءةً ومعنى):

أ- الله غفر لآليه، ب- بن عبيده كاتب، ج- الخليدا على بني، د- عمري، كتبه عنه من يقروه⁵³.

إذاً هذه هي النصوص التي اعتبرها أو عدّها الباحثون فيما سمّوه العربية "المبكرة" متجاهلين اللهجات العربية القديمة الأخرى بدءاً من الأكادية، ومتجاهلين أنّ لغة آدم أي الإنسان العاقل هي العربية الأصل والمبكرة، وكانت الأمنيات لو كُشِفَ عن المزيد من تلك النصوص الأكمل والأطول، وذلك للتمكن من دراسة البدايات بطريقة أفضل وأوضح، والوصول إلى رأيٍ قاطع في هذا الموضوع.

في الواقع لا نريد الدخول في مناقشة النصوص من حيث مضمونها اللغوي، والمقارنة بالفصحى بشكل مباشر، وإنما سندخل في استعراض الآراء التي درستها، ومناقشة

⁽⁵²⁾- علي، جواد، المفصل...، ج8، 1993، ص248-249؛ انظر أيضاً: طقوش، تاريخ العرب قبل...، 2009، ص116-117، بحيث يقول: " .. وهو بلغته وكتابته يخطو خطوة جديدة باتجاه استقلالية اللهجة العربية وكتابتها عن اللهجة النبطية وكتابتها".

⁽⁵³⁾- فرستينغ، اللغة العربية...، 2003، ص50؛ طقوش، تاريخ العرب قبل...، 2009، ص116-117: " وتشير هذه النصوص، من أنّ اللغة التي كتبت بها النصوص النبطية استناداً إلى تعاقب تواريخها، قد مرّت بمراحل متدرجة في تطورها، من نبطية خالصة (نص أم الجمال الأول)، إلى لغة نبطية- عربية (نص النمارة)، فالى لغة عربية متحررة- الى حد كبير- عن النبطية (نص حران وأم الجمال الثاني)، غير أنّ المنطق لا يسمح باتخاذ موقف حازم بشأن الحقيقة النهائية عن أصل عربية الشمال لغةً وكتابةً، فلا تزال هناك احتمالات يمكن أن تؤدي إلى الكشف عن أساسها الواقعي."؛ علي، جواد، المفصل...، ج8، 1993، ص249؛ ولفنسون، تاريخ اللغات...، 1929، ص192.

الأسس التي اعتمدها فيما توصلت إليه من النتائج في بحوثها، وذلك أنّ تلك النصوص هي ما يمثل نماذج قديمة للغة العربية الفصحى:

خامساً- الآراء في النصوص: مناقشة ومعطيات: لهجات عربية:

في البداية نستعرض وصف تلك النصوص واللغة التي كُتبت بها، وما قالوه في ذلك أنّ اللغة الآرامية التي كتب بها الأنباط، هي غير اللغة الآرامية المعروفة اليوم، وفي تلك أثر من لغة العرب التي كان يتكلم بها الأنباط، حتى أنّه بشكل عام ما يُسمى بالعربية البائدة أو عربية النقوش، فهي لهجات لمجموعة من القبائل العربية في شمال الحجاز على مقربة من حدود الآراميين، فقد صُبغت بالصبغة الآرامية وفقدت كثيراً من معالمها⁵⁴.

حتى أنّ بعض الآراء ما تقوله، إنّه لم يكن سكان الامبراطورية العربية الجنوبية يسمّون أنفسهم عرباً، وذلك اعتماداً على بعض النقوش العربية الجنوبية من القرن الثاني قبل الميلاد وذكرها لشعوب بدوية سمتها عرباً، وبيرون أيضاً في ذكر البابليين والآشوريين تلك التسمية (العرب)، أنّها تضم القبائل البدوية كلّها⁵⁵.

⁵⁴- الدرويش، اللهجات العربية البائدة...، 2004، ص7؛ انظر أيضاً: فرستينغ، اللغة العربية...، 2003، ص37، 43-45؛ نيلسن وآخرون معه، التاريخ العربي...، 1958، ص40؛ طقوش، تاريخ العرب...، 2009، ص110؛ زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة...، ج1، دت، ص27؛ يذكر عن نقش النمارة: " هذا لسان عربي تشوبه صبغة آرامية يحتاج تفهمها إلى إيضاح..."; ربرت، ص98؛ سقال، ديزيره، العرب في...، 1995، ص39.

⁵⁵- فرستينغ، اللغة العربية...، 2003، ص37-38؛ ديسو، العرب في...، 1959، ص2-3؛ نيلسن، ص47: " ويعتقد نفر كبير من العلماء، أنّ الشعوب السامية الشمالية المتمدنة كالبابليين، والآشوريين، والآراميون، خرجوا في الأصل من البوادي العربية الشامية متجهين نحو البلاد الزراعية المجاورة، فالساميون الشماليون هم ساميون جنوبيون انتقلوا إلى الشمال، وما بلاد العرب إلّا المستودع الذي خرج منه سائر الساميين."؛ العلي، صالح أحمد، تاريخ العرب...، 2000، ص17؛ زيدان، جرجي، تاريخ

ويعتمدون التوراة أيضاً في تأكيد صفة البداوة للعرب، وذلك في ذكرها لملوك العرب " عرب "، الذين يعيشون في الصحراء، وذلك من خلال نص يعود للقرن السابع قبل الميلاد. اشعيا : 13: 19-20: " ولا يخيم هناك أعرابي، ولا يربض هناك رعاة".⁵⁶

والمفاجأة في الواقع عندما يقولون إنهم لا يعرفون اللغة التي تتكلم بها تلك القبائل المختلفة التي سُميت " عربي " (وهنا المقصود القبائل الثمودية)، وأنّ ذكر العرب المبكر لا يُعلمهم شيئاً يُذكر عن مرحلة ما قبل التأريخ الكتابي في اللغة العربية، وهذا يعني بصريح العبارة، أنّ العرب (حسب آرائهم)، هم آخر من دخل العصور التاريخية وعرف الكتابة⁵⁷.

والغريب والغامض والمتناقض في آرائهم عندما يقولون إنّ هناك أربع مجموعات من النقوش التي أكتشفت في أواخر القرن التاسع عشر، وهي نقوش مكتوبة بلغة يبدو أنّها تمثل المراحل "المبكرة" من اللغة العربية، وقد سُميت لغة تلك النقوش بالعربية الأم أو العربية "المبكرة"، وأطلقوا عليها اسم العربية الشمالية "المبكرة"، وذلك لتميزها عن لغة النقوش العربية (اليمنية)، ولغة الكتابات الإسلامية المبكرة، ونظراً إلى أنّ تلك النقوش مشرّذمة (حسب قولهم) في غالبيتها، ولا تحتوي على أيّة مادة سوى أسماء الأعلام، فإنّ

آداب ...، ج1، د.ت، ص24: " لم يتصدّ أحد للبحث في آداب اللغة العربية... لا اعتقادهم أنّ العرب في الجاهلية الثانية قبل الإسلام، كانوا غارقين في الفوضى والجهالة لا عمل لهم إلا الغزو، والنهب والحرب في بادية الحجاز والشام، وفي نجد وغيرها من بلاد العرب..".

⁵⁶ - فرستينغ، اللغة العربية...، 2003، ص37؛ رُبرت، تاريخ العرب...، 2010، ص28.

⁵⁷ - فرستينغ، اللغة العربية...، 2003، ص37؛ نيلسن وآخرون معه، التاريخ العربي...، 1958، ص40: عندما تحدث عن الوثائق الآرامية القديمة التي عُثِر عليها في تيماء في شمال غرب الجزيرة (بين المدينة وبطوة - محطة تجارية آرامية)، يرجع تاريخها إلى القرن الخامس قبل الميلاد، فإنّه يذكر أيضاً: " إلا أنّ العرب هنا كانوا تجاراً يتكلمون الآرامية ويكتبون بها، كما كانوا أصحاب فن آرامي وديانة آرامية..".

تحديد هوية اللغة المستخدمة في تلك النقوش أمر صعب جداً، ولكن لغة تلك النقوش على أية حال مرتبطة بالعربية الكلاسيكية ارتباطاً وثيقاً⁵⁸.

وضمن هذا السياق هناك من يعدّ أنّ خواص النقوش الثمودية والصفوية واللحيانية اللغوية قريبة من خواص لغة القرآن الكريم، مع بعض الاختلاف في أداة التعريف- إذ إنّ أداة التعريف فيها هي "ها"- وبعض الاختلافات الأخرى، ومن ثمّ فإنّها تمثل مرحلة من مراحل تطور اللغة العربية ونشوتها، وهذا ما يراه أيضاً بعض المستشرقين أمثال اينو ليتمان وغيره، بأنّ كثيراً من النقوش التي تمّ العثور عليها في شمال شبه الجزيرة العربية تمثل اللغة العربية التي سبقت الأدب الجاهلي، ولكن هناك من يؤكد أنّ معظم تلك النقوش التي تمّ الكشف عنها في مناطق متعددة، فإنّ قبائلها من أصل جنوبي، أي من اليمن⁵⁹.

⁵⁸- فرستينغ، اللغة العربية...، 2003، ص40-41؛ نيلسن وآخرون معه، التاريخ العربي...، 1958، ص46: يذكر عن النقوش الصفوية: " هي قريبة جداً من حيث الخط واللغة وأسماء الآلهة من المخريشات الثمودية."؛ طقوش، تاريخ العرب...، 2009، ص108-109؛ الدرويش، اللهجات العربية البائدة...، 2004، ص26: " اللهجة الثمودية هي لهجة قريبة من لهجة القرآن الكريم، وهي من مجموعة العربية الشمالية."؛ ولفنسون، تاريخ اللغات...، 1929، ص188-189.

⁵⁹- الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص134-136؛ سقال، ديزيره، العرب في...، 1995، ص62؛ الروسان، القبائل الثمودية والصفوية...، 1992، ص237؛ فرستينغ، اللغة العربية...، 2003، ص41: يذكر أنّ النقوش الثمودية تتميز بوجود أداة التعريف/ ه/؛ نيلس، ص47: " الذي حدث هو أنّ قبائل سامية جنوبية انتقلت إلى الشمال، وأخذت تستقر تدريجياً، وتصطبغ بالصبغة الثقافية الشمالية، ومع مرور الزمن غلبت عليها المسحة الشمالية، وتظهر هذه الظاهرة واضحة جلية فيما تركته لنا من نقوش وآثار."؛ طقوش، تاريخ العرب...، 2009، ص109: ما يذكره عن النقوش: " وتتكلم هذه الأقوام لهجة عربية من لهجات عرب الشمال."؛ الدرويش، اللهجات العربية البائدة...، 2004، ص6: ما يذكره عن الثمودية واللحيانية والصفوية: " وهذه اللهجات تنتمي إلى العربية الشمالية...؛ رُبرت، تاريخ العرب...، 2010، ص236: ما يذكره عن المجموعة الشمالية من لغات جزيرة العرب (حسب تعبيره): " ...

وهنا يمكننا القول بسبب ما ظهر من انقسام في الآراء عن أصل القبائل صاحبة النقوش، وكأن مشكلة اللغة العربية الأساسية والجوهرية هي في أصل لغة النقوش، وهي شمالية أم جنوبية، مع العلم أنّ النقوش نفسها بينت بوضوح، كيف كان امتزاج القبائل مع بعضها بعضاً في المكان الواحد، سواء كانت من الشمال أم من الجنوب، وذلك منذ أقدم الأزمنة، وأيما كانت، فقد تكلمت بلهجات عربية.

هذا غيضٌ من فيضٍ ممن عدّوا أنّ تلك النقوش هي المرحلة المبكرة للغة العربية، ورأينا كيف أنّ الاختلاف موجود فيما بينهم، أو التناقض في الرأي نفسه أيضاً، أو تبني الرأي ذاته، إذ إنّ أنّ تلك الآراء مجتمعة لم تعبر بوضوح، ولم نعرف إلى أين تريد الوصول تماماً، إلا إلى نقطة واحدة بشكل مقصود أو غير مقصود، وهي تقزيم اللغة العربية زمنياً وجغرافياً، سواءً كان ذلك من الأجانب، أو من دار في فلكهم من العرب.

وأصبح من المهم هنا أيضاً أن نستعرض نموذجاً من النصوص اليمينية القديمة، والمعاصرة بدورها للنقوش المكتشفة في القسم الشمالي من شبه الجزيرة العربية، والجدير بالذكر من هذا الاستعراض، أن القبائل التي ذكرتها المصادر العربية، أو أسماء القبائل المذكورة في النقوش الثمودية واللحيانية والصفوية، كيف أنّها كانت تنتقل من الجنوب إلى الشمال والعكس صحيح منذ أقدم الأزمنة، وعرفت باستمرار الاختلاط فيما بينها، وكيف كانت عدنانية وقحطانية في المكان نفسه، وكيف أن المراكز والطرق التجارية منتشرة بدءاً من اليمن وصولاً حتى بلاد الشام والرافدين ومصر، وتتجاوز هذه المناطق بحيث إنّها تصل إلى آسية الصغرى ومنها إلى أوروبا، والعمل التجاري لا يقف عند

ويمثلها نحو أربعين ألف نقش.."; التيمي، اللغة اليمينية في...، 2012، ص44 وما بعدها؛ فروخ، عمر، تاريخ الأدب...، 1981، ص36: " ... وإذا نحن درسنا اللغة العربية، وجدناها أكثر أخواتها الساميات مفردات وأتمها صيغاً وأكملها صرفاً ونحواً، وأرقاها بياناً وبلاغاً وأحسنها اسلوباً، ومن أجل ذلك لا نستبعد أن تكون اللغة العربية هي اللغة السامية الأم الفصحى...". ولفنسون، تاريخ اللغات...، 1929، ص166.

مكان معين، ومن ثمَّ فإنَّ التاجر العربي تجاوز مصر بالتأكيد، وذلك باتجاه بلدان المغرب، منذ أقدم الأزمنة أيضاً⁶⁰.

وضمن هذا السياق من المهم أن نذكر أسواق العرب، التي كانوا يجتمعون بها في تجاراتهم، ويجتمع فيها سائر الناس، ويأمنون فيها على دوائهم وأموالهم، وأهمها:

1- دومة الجندل: يقوم في شهر ربيع الأول ورؤساؤها غسان وكنب.

2- المشقر، بهجر: يقوم هذا السوق في جمادى الأولى، وتقوم به تميم رهط المنذر بن ساوى.

3- صُحار: يقوم هذا السوق في أول يوم من رجب، ثمَّ يرتحلون من صُحار إلى ريبا، ثمَّ سوق الشجر، شجر مهرة، فيقوم سوقها تحت ظل الجبل الذي عليه قبر النبي هود.

4- سوق عدن: يقوم هذا السوق في أول يوم من شهر رمضان، ثم سوق صنعاء الذي يقوم في النصف الثاني من شهر رمضان، ثمَّ سوق الرابية في حضرموت.

5- سوق عكاظ: ويقوم هذا السوق في ذي القعدة، وتجتمع فيه قريش وسائر العرب، إلا أنَّ أكثرها هي مضر، ثمَّ سوق ذي الحجاز⁶¹.

⁶⁰- عن موضوع التجارة والطرق التجارية انظر: الأفغاني، سعيد، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط3، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، 1974، ص15 وما بعدها؛ فرستينغ، اللغة العربية...، 2003، ص38؛ نيلسن وآخرون معه، التاريخ العربي...، 1958، ص38-39؛ الروسان، القبائل التمودية والصفوية..، 1992، ص44؛ العلي، تاريخ العرب...، 2000، ص132؛ طقوش، تاريخ العرب...، 2009، ص82 وما بعدها؛ سليم، أحمد أمين، جوانب من...، 1997، ص32، 145.

⁶¹- ربرت، تاريخ العرب...، 2010، ص140؛ الأفغاني، سعيد، أسواق العرب...، 1974، ص226 وما بعدها.

وهنا يجب القول إنّ هذه الأسواق تدل بوضوح على اللقاء المستمر بين الجنوب والشمال، والشرق والغرب في شبه لجزيرة العربية، وهذا يعني لقاء اللهجات جميعاً دون استثناء، والتأثير المتبادل بكل جديد، ويجب ألا ننسى الأصل العربي الواحد لها جميعاً.

ومن ثمّ، وحسب الآراء بخصوص اللهجات اليمنية القديمة وآثارها في اللغة العربية، فتشير إلى أنّه من الصعوبة تقدير البداية لهذا التأثير، لأنّه كان قديماً⁶²، وتمت تسمية عدد من الدلائل على هذا التأثير، ومنها: أنّه يمكن الجمع من المصادر العربية طائفة صالحة من الألفاظ والقواعد ذات الأصل اليمني.

وأشير إلى لغات القبائل اليمنية الواردة في القرآن، مثل: بلحرث بن كعب، والأشعريين وختعم، والنخع وغيرها، ومن الدلائل أيضاً، أنّ هناك كثيراً من الخصائص المشتركة بين اللهجات اليمنية والعربية الفصحى، كالاستنطاء مثلاً⁶³، وغيرها من الخصائص التي نسبتها المصادر العربية إلى اليمن⁶⁴.

وأيضاً من الدلائل أنّ القرآن الكريم ذكر البيئة القريبة المحيطة بمهبط الوحي والرسالة، كاليمن ومصر وبلاد الشام....، ويُشار أيضاً إلى أنّ القرآن الكريم قد سمى سورة بكاملها لأهل اليمن، وهي سورة "سبأ"⁶⁵.

وضمن هذا السياق نفسه يجب الإشارة، إلى أنّ كثيرين من علماء اللغة قد اعتمدوا على اللهجات اليمنية مصدراً من مصادر جمع مادتهم اللغوية، ومنهم الخليل بن أحمد

⁶² - التيمي، اللغة اليمنية في...، 2012، ص84: إنّ أقدم نقش سبئي وجدّه فريق بحث إيطالي حديثاً برئاسة البروفسور اليساندروي على قطع من الفخار، وكُثِفَ عن النقش في مأرب في بيت قديم هناك في الطابق الأرضي المردوم بالرمال، ويعود تاريخه إلى 1400 ق. م.

⁶³ - الاستنطاء: هو إبدال العين بالنون: أعطيناك تصبح أنطيناك.

⁶⁴ - الطعان، هاشم، تأثر العربية باللغات اليمنية القديمة، مطبعة الإرشاد- بغداد، 1968، ص15 وما بعدها.

⁶⁵ - التيمي، اللغة اليمنية في...، 2012، ص44-45.

الفراهيدي في كتابه " العين "، وأيضاً ابن منظور في " اللسان " وهناك من اللغويين أيضاً ابن فارس، والكسائي والأصمعي، وابن جنبي، والجوهري، وابن السكيت وقطرب وسيبويه وأبي عمرو ابن العلاء وغيرهم⁶⁶، ومن الدلائل أيضاً، أنّ الفيروز أيايي قد ألف معجمه اللغوي المشهور "القاموس المحيط للغة العربية" في اليمن، وأخذ كثيراً من اللهجات اليمنية في معجمه في أواخر القرن السابع الهجري وبداية الثامن⁶⁷.

وهنا ضمن هذا السياق لا بدّ من عرض أحد النصوص السبئية، كنموذج من النصوص اليمنية القديمة، والمعاصر لأكثر من نص عربي شمالي، ليتبين أنّ اللهجة السبئية هي إحدى اللهجات العربية.

_ النص: هذا النص من سد مأرب، ويعود تاريخه الى 460 ميلادي، وعربيته واضحة:

واحد / ألفم م / وسبعي / د . ث / منتم / أ أ ب / . تم / . سقيم / . ريب / .
م / وقصيم / وثمنى / وأربعى / كركم / دبسم / وخم / أتم / ورسهو / ذ دأو / ذ
لخمست / وسبعى / وخمس / منتم /.

الشرح (حسب المرجع): يصف هذا النقش ما صُرف للعمال عند محاولة إعادة بناء سد مأرب، وهو في زمن الملك شرحبيل بن يعفر بن سبأ وذي ريدان وحضرموت، وهذا النقش في عمود كبير مكتوب من جهاته الأربع، ويُذكر فيه 1373 من البقر وغيرها سنة 575 بالتاريخ الحميري، الذي يصادف 460 بعد الميلاد⁶⁸.

⁶⁶- المرجع نفسه، ص45-47.

⁶⁷- المرجع نفسه، ص48.

⁶⁸- غسان، زيد بن علي، تاريخ حضارة اليمن القديم، المطبعة السلفية ومكتبتها، شارع الفتح بالروضة، 1996هـ- 1976م، ص298.

في الواقع بعد هذا الاستعراض الكامل لنماذج من النقوش التي اعتمدت دليلاً على العربية "المبكرة" مع الآراء عنها، يكفي أن نقارن الأحدث منها العائد تاريخه إلى القرن السادس الميلادي، مع إحدى الخطب التي ألقاها القس بن ساعدة في سوق عكاظ، مع العلم أن هذا القس عاش في القرن السادس الميلادي نفسه، أي أنه كان معاصراً لأصحاب بعض تلك النقوش، أو من كتبها، ومن ثمّ يمكننا القول والتساؤل، كيف أنّ العربية المبكرة (النصوص أعلاه) كانت مستمرة في الوقت ذاته الموجودة فيه الفصحى (كما سمّوها: الكلاسيكية)، وكيف تطورت أو من الذي طورها؟ خاصة أنّ القبائل صاحبة النصوص المعتمدة في اعتبارها العربية المبكرة، اتصفت بالعزلة والحفاظ على لهجاتها كما هي (حسب آراء دارسيها)⁶⁹، والملفت للنظر في هذا الموضوع عندما يتحدث بعضهم عن نشأة العربية الفصحى، نراه يقول: "وليس لدينا أمثلة مدوّنة يُرجع إليها أو يُقاس عليها غير ما وجدوه منقوشاً على قبر امرؤ القيس، وهو لا يُشفي غليلاً"⁷⁰ وفي الوقت نفسه يتابع في قوله: "إننا إذا نظرنا إلى لغتهم كما كانت في عصر الجاهلية، نستدل أنّ هذه الأمة كانت من أعرق الأمم في المدنية، لأنها من أرقى لغات العالم في أساليبها ومعانيها وتراكيبها، واللغة مرآة عقول اصحابها ومستوى آدابهم، فالمتكلمون باللغة الفصحى كما جاءتنا في القرآن الكريم والشعر الجاهلي والأمثال، لا

⁶⁹ - نيلسن وآخرون معه، التاريخ العربي...، 1958، ص47: ما يذكره عن الصفويين: "أما الصفويون فالحال معهم يغاير هذا تماماً، حيث نجد العربية السامية الجنوبية واضحة قوية، وذلك لأن الصفويين كما تبين لنا من آثارهم لم يتركوا حياة البداوة نهائياً، وكانوا يعيشون حياة تجمع بين البداوة والحضارة.."; الروسان، ص238: "كان الطابع العام لحياة الصفويين هو البداوة، وكان من طبائعهم المحافظة على ما في اللغة من ألفاظ وتعابير، حتى أنّ النحويين العرب عندما حاولوا معرفة الطرائق الصحيحة للفظ الفصحى عادوا للبادية (تتميز بالعزلة والانفراد)."

⁷⁰ - زيدان، تاريخ آداب.....، د.ت، ص36.

يمكن أن يكون أصحابها دخلوا المدنية أو العلم من قرن أو قرنين فقط،⁷¹ إذ لا يتأتى للغة من لغات المتوحشين أن تبلغ مبلغ لغات المتمدنين إلا بتوالي الازدهار، فكيف باللغة العربية الدالة على سمو مدارك أصحابها، وسعة تصوّرهم ودقّة نظرهم⁷².

وهنا كأنّه أراد أن يقول: إنّه لا يليق بالعربية الفصحى أن تكون حصيلة مرحلة قصيرة من الزمن، بل هي تتمتع بالعمق الزمني الكبير، ومن ثمّ يمكننا القول: إنّ نقش النمارة والنقوش المذكورة معه، والمصبوغة بالصبغة الأرامية، لم تتجاوز مرحلة اللهجة لعدد من القبائل الخاصة بها، وبطبيعة الحال كما هو معروف بأنّ اللهجات بشكل عام تتفرع عن اللغة الأم، وبهذا لا يجوز لنا أن نضع العربية الفصحى بصورة اللغة المتطورة عن اللهجات القبلية، أو المختارة الألفاظ من تلك اللهجات⁷³، وخلال مدة وجيزة من الزمن ربما لا تتجاوز القرن، وإذ بهذه اللغة الناشئة في الوقت نفسه، تظهر وهي الأقرب للغة الأصل، اللغة الأم، وهذا الأمر تحديداً يجعلنا نطرح السؤال الآتي:

إذا كان العرب أصحاب هذه اللغة هم فقط في القسم الشمالي من شبه الجزيرة العربية، ولم يتجاوزوا أطراف البوادي سواءً في بلاد الشام أو غيرها من المناطق، فكيف استطاع هؤلاء الحفاظ على معظم السمات التي اتسمت بها اللغة الأم، غير معروفة الزمن والمكان بالشكل الدقيق، وهم ليسوا على دراية بها، وإنما هي كما نعرف مصطلح افتراضي وضعه الباحثون المعاصرون، فهل كان هذا الأمر مجرد مصادفة، أو بمعنى

⁽⁷¹⁾ - العبد، عبد الحكيم، تاريخ الأدب العربي، مركز اللغات والترجمة- أكاديمية الفنون، 2006، ص:5. إذ يقول: " كان للعرب في العصر الجاهلي مقومات حياة ولغة ناضجة، ومعارف وآداب شفهية،.... وتكونت لغتهم ونضجت خلال فترة قياسية في زهاء قرن ونصف أو قرنين....".

⁽⁷²⁾ - زيدان، تاريخ الآداب...، د.ت، ص:24.

⁽⁷³⁾ - العبد، عبد الحكيم، تاريخ الأدب...، 2006، ص:5. كما يذكر وآخرون كثر معه على الرأي نفسه: " وهي انتخاب للأصح من اللهجات المحلية، واللغات المنقرضة، أو شبه المنقرضة من المجموعة السامية..".

آخر ما نوع ذلك الاستمرار بينهما الذي لم ينقطع نهائياً، ومن ثمّ عندما تمت كتابتها ظهر عندئذٍ كل شيء طبق الأصل؟ ولذلك نقول ببساطة: إنّ هذا يدلّ على مسيرة تطور طويلة جداً عبر آلاف من السنين.

إذاً يجب أن نعترف أنّ شيئاً ما قد وُجد واستمر منذ أقدم الأزمنة، بدأ من الأصل (اللغة الأم) وتابع الطريق، وهذا التطابق أو شبه التطابق بين اللغة الفصيحة واللغة الأم المفترضة، لم يكن على الإطلاق عن طريق المصادفة، ولاسيّما أنّ الفارق الزمني بينهما لا يعلمه إلاّ الله.

ونحن إذا افترضنا الآن أنّ تلك اللغة الأم هي شيء وهمي غير موجود، وهي أمر ابتدعه المستشرقون لا أكثر ولا أقل، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه وبقوة: كيف استطاعت اللغة الفصيحة أن تجمع الميزات اللغوية الخاصة كلّها بما سُمّي مجموعة اللغات السامية، القريب منها زمنياً والبعيد عنها؟

وبهذه الحالة كجواب عن ذلك، لا بدّ من العودة إلى نقطة البداية والقول: إنّ شيئاً ما قد وُجد واستمر منذ أقدم الأزمنة من خلال مدرسة مستمرة عبر آلاف من السنين، وهنا يمكننا أن نتذكر منذ اختراع الكتابة المعبد المستمر والكهنة والآلهة واللغة المقدّسة مع كتابتها المقدّسة أيضاً.

وبناء عليه ضمن سياق السؤال نفسه، يحق لنا أن نسأل أيضاً، هل من المعقول أن تكون بعض الآراء صحيحةً فيما تقوله عن نشأة الفصحى، وهي نفسها متغيرة متبدلة بين لحظة وأخرى؟ إذ تقول: إنّ اللغة العربية الفصحى هي لغة الحجاز التي وصلت إلينا، وكانت قبل الإسلام لغات عدة تُعرف بلغات القبائل، وبينها اختلاف في اللفظ والتركييب، كلغات تميم وربيعة ومضر وقيس وهذيل وقضاعة وغيرها كما هو مشهور، وأقرب هذه اللغات شبيهاً باللغة الأصلية الأم أبعداً عن الاختلاط، ويعكس ذلك القبائل التي كانت تختلط بالأمم الأخرى كأهل الحجاز بما يلي الشام، وخصوصاً أهل مكة من قريش، فقد

كانوا أهل تجارة وسفر شمالاً إلى الشام والعراق ومصر، وجنوباً إلى بلاد اليمن، وشرقاً إلى خليج فارس وما وراءه، وغرباً إلى بلاد الحبشة⁷⁴.

وهنا يجب علينا القول، وبكل تأكيد: إنه لا يمكننا استثناء أية قبيلة عاشت على أي بقعة من بقاع شبه الجزيرة العربية، مما يسمى الاختلاط، فإن لم يكن بشكل مباشر، فلا بد أن يكون بشكل غير مباشر، والغريب في الموضوع هنا، أن قریش التي تُنسب إليها (حسب الآراء) العربية الفصحى في معظمها على الأقل، ظهرت حسب الآراء نفسها، وكأنها الأبعد عما يُسمى اللغة الأصلية الأم بسبب اختلاطها الكبير مع الآخرين.

ويُضاف إلى ذلك حسب الآراء، ما كان يجتمع حول الكعبة من الأقوام المختلفة، ومنهم الفرس والأنباط واليمنيون والأحباش والمصريون، والجاليات من اليهود والنصارى، فدعا ذلك كله إلى ارتقاء اللغة بما تولد فيها، أو دخلها من الاشتقاقات والتراكيب، مما لا مثيل له في اللغات الأخرى⁷⁵، وهنا ببساطة نقول، كيف كانت العربية هي الأقرب للغة الأصلية الأم، ونشأتها كانت نتيجة لهذا الاختلاط الكبير مع أمم ولغات أخرى؟ ونقول أيضاً: إن استعارة قليل من الكلمات من لغة أو أكثر لا يعني هذا ارتقاء اللغة، وخاصة مع مثل اللغة العربية صاحبة المخزون الأكبر من الكلمات في العالم حتى الآن، فمثلها ليس بحاجة ماسة كي يرتقي إلى من أصغر وأفقر منه من اللغات.

ونحن سنقول بوضوح للمحتارين بتاريخ بداية العربية، وهم أنفسهم يقدمون الجواب (طبعاً غير الصحيح)، أنه من المفترض قد بدأ في الألفية الثانية قبل الميلاد، فسنقول لهم أنظروا الأكادية وذكر الاله الثمودي: رُضاء: رُداء، أو رُطاء، والمذكور هو نفسه في النقوش الثمودية الموجودة أعلاه⁷⁶.

⁷⁴ - زيدان، تاريخ...، ص36.

⁷⁵ - زيدان، تاريخ آداب...، ص36.

⁷⁶ - موسكاتي وآخرون معه، مدخل إلى...، 1993، ص54.

ونحن لا ندري ولا نعرف، كيف يقوم بعضهم بالتجاهل أو النسيان على الأقل للوجود الأكادي، والأصل الواحد قبل الانتقال إلى بلاد الرافدين؟، والغريب أنهم يُظهرون العرب وكأنهم دخلاء على شبه الجزيرة العربية، ويأخذون في ظاهر الأسماء، ولا يأخذون في مضامين أصحابها الذين يعودون في النهاية إلى الأجداد أنفسهم، ونتيجة للتكاثر والتوسع والتنوع في ضرورات الحياة، فتعددت الأسماء لمضمون واحد، ولنتذكر دوماً أنّ الرؤية بأنّ العربية هي لغة آدم أو الانسان العاقل هي الأكثر منطقية وصحة.

على أية حال يحق لنا أيضاً ضمن هذه التناقضات من الدراسات والآراء في موضوع العربية "المبكرة" أو القديمة، أن نبدي برأي متواضع في هذا المجال، والغاية أن نقدم شيئاً مفيداً، أملين أن نصيب في ذلك، ولهذا نستعرض في البداية إحدى الخطب لأشهر خطباء العرب، وهو قس بن ساعدة الإيادي الذي عاش في القرن السادس الميلادي، وعاصر النصوص المتأخرة فيما سُمّي بنصوص العربية القديمة أو "المبكرة".

سادساً- قس بن ساعدة الإيادي والعربية الفصحى:

ما نريد قوله من خلال هذا الاستعراض لخطبة قس بن ساعدة، هو أولاً المعاصرة بين المتطور والمتطور عنه، ويُظهران ببساطة شديدة الخدعة التي تمت عبر بعض الآراء، ووقع فيها آخرون من الباحثين سواءً من الأجانب أنفسهم أو من الباحثين العرب، إذ نشعر للوهلة الأولى عندما نقرأ تلك النقوش، وكأنّ الفارق الزمني بينهما آلاف من السنين، وذابت تدريجياً لغة تلك النقوش، وظهرت اللغة المتطورة عنها وهي اللغة الفصيحة، ومن ثمّ نسأل كيف يمكن أن يكون ذلك في الوقت نفسه؟

قس بن ساعدة الإيادي: هو أسقف نجران وخطيب العرب وحكيمها وحكمها، ويقال إنه أول من خطب على شرف، واتكأ على سيف، وقال في خطبه أمّا بعد، وسمعه النبي (ص) في سوق عكاظ فأثنى عليه، ويروى أنه قال فيه: "رحم الله قساً، وإني لأرجو يوم القيامة أن يبعث أمةً وحده".

عاش هذا الخطيب على الكفاف، وكان يعبد الله ويعظ الناس حتى مات سنة 600 م، وقد عمر طويلاً، وقد تميز أسلوبه في السنوات الطويلة التي عاشها، بأنه كان مطبوعاً مسجوعاً، شديد الروعة، متخير الألفاظ، قصير الفواصل، يعتمد إلى ضرب الأمثال، واستنتاج العبر من مصارع الطغاة، وظواهر الكون، وله شعر يجمع إلى الجزالة رقة التعبير، وقوة التأثير، وفي إحدى خطبه في سوق عكاظ قال:

"أيها الناس: اسمعوا وعوا، إنه من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهـر، وبحار تزخر، وجبال مرساة، وأرض مدحاة، وأنهار مجرأة، إن في السماء لخبراً، وإن في الأرض لغيراً، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون؟ أرضوا فأقاموا، أم تركوا فناموا؟، يا معشر إباد، أين الآباء والأجداد، وأين الفراعنة الشداد؟ ألم يكونوا أكثر منكم مالا، وأطول آجالاً؟ طحنهم الدهر بكلـه، ومزقهم بتاوله".

ومن شعره هذه الأبيات:

لما رأيت موارد	للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها	يسعى الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضي إليّ	ولا من الباقيـن غابر
أيقنت أنّي لا محالة	حيث صار القوم صائر

وله أشعار أخرى كثيرة، منها ما رثى فيها أخوين له، وقد وقف على قبريهما بدير سمعان، وله حكم أيضاً منها: " من عيرك شيئاً ، ففيه مثله"⁷⁷.

⁷⁷- شيخو اليسوعي، لويس، كتاب شعراء النصرانية، ج1 - القسم الثاني، بيروت، 1890، ص211-218؛ الزيات، أحمد، تاريخ الادب...، د.ت، ص20-22؛ الفاخوري، حنا، الجامع في تاريخ الأدب العربي - الأدب القديم، بيروت، 1986، ص124؛ علي، جواد، المفصل...، ج8، 1993، ص734،

إذاً هذه هي العربية الفصحى في القرن السادس الميلادي، وهذا ما سمّوه بمرحلة النماء والشباب أو النضوج، ويجب ألا ننسى أنها المعاصرة (لمرحلتها القديمة المبكرة)، وبالتالي إذا كان الأمر مرتبطاً بالنصوص الصوفية (أهل الصفا) وغيرها، فهي موجودة في الوقت ذاته، ومن هنا يمكن القول: إنَّ الفصحى هي نتاج مسيرة تطورٍ طويلةٍ جداً عبر آلاف من السنين، وتلك النصوص لا تتجاوز أنها لهجات قبائل خاصة بها لا أكثر ولا أقل، وإذا كان الأمر هو ما انفقت عليه بعض الآراء الأخرى، أنها هي اللغة الأدبية الممتازة، المختارة الألفاظ، فمن المؤكد أنَّ كلمات الفصحى لم تُخلق فجأةً، وهذا يعني وجودها قبل اختيار تلك الألفاظ في أسواق مكة، وقبل ما سجلته المصادر العربية بعد منتصف القرن الهجري الثاني، فضلاً عن ذلك أنه لا يمكننا أن نخضع هذا الأمر لزمن معين، فالقبائل موجودة منذ أقدم الأزمنة، ومكة أيضاً، وهنا نطرح السؤال، بالنسبة إلى قس ابن ساعدة هل تعلمها وحفظها في سنٍّ معين من عمره إضافة إلى لهجته، أم كان الأمر منذ الولادة من خلال والديه؟ أم ماذا؟

في الواقع يمكننا القول هنا في هاتين النقطنين: إنَّه في حال قس بن ساعدة قد تعلمها تعلماً، فهذا يعني أنَّ هناك مدرسة ما وفيها حصل ذلك، وإذا كان الأمر عن طريق والديه، فهذا يعني أيضاً أنَّ اللغة الفصيحة موجودة ويتحدث بها الناس وأطفالهم، وبهذا فإنَّها في كلتا الحالتين هي موجودة ولا يمكن نكران ذلك، ولكن الاحتمال الأول هو

784-785: ما يذكره عن قس ابن ساعدة: " وقد عدّه بعض الباحثين من النصارى، ولكن معظم أهل الأخبار يرى أنه كان على الحنفية، أي على التوحيد، لا هو من يهود، ولا هو من نصارى. "؛ زيدان، جرجي، تاريخ آداب ...، ج1، د.ت، ص135؛ ضيف، شوقي، تاريخ الأدب1...، 1960، ص415؛ سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، م2، ج2، ترجمة: محمود فهمي حجازي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- السعودية، 1991، ص126-130؛ فروخ، عمر، تاريخ الأدب...، ج1، 1981، ص173: " وتوفي قس بن ساعدة نحو عام 22 ق. هـ، (600م.). "؛ طقوش، تاريخ العرب...، 2009، ص146.

الأكثر منطقية، ومن ثمَّ يمكننا القول على الأقل: إنّ عبقرية هذه اللغة تدلّ ببساطة شديدة على أنّها مدرسة قديمة جداً (المعبد، النص المقدس)، ولغة معطيات الحضارة، وتسير في مراحل متتالية من التطور، وسنقدم الدليل على القدم الزمني لهذه اللغة، والجغرافيا الأوسع لها، وما يمكننا أن نسميه بمرحلة من مراحل العربية الفصحى القديمة، والزمن الذي تعود إليه، من خلال محطتنا عبر النص الأوجاريتي.

سابعاً- العربية الفصحى والنص الأوجاريتي:

يقول الياس بيطار: "أمّا البناء اللغوي للغة الأوغاريتية فهو يتطابق مع اللغة العربية- الى حد كبير- مما يشجع على القول: إن اللغة الأوغاريتية- ربما- تمثل الطفولة المفقودة للغة العربية التي لم تكتشف حتى الآن..."⁷⁸.

⁷⁸- بيطار، الياس، قواعد اللغة الأوغاريتية، منشورات جامعة دمشق، 1991-1992، ص19-20؛ وعن هذه النقطة انظر أيضاً: كريم، محمد رياض، المقتضب في لهجات العرب، جامعة الأزهر، 1996، ص90، يقول: " لا نعلم شيئاً عن طفولة هذه اللغة، إذ لم يعثر العلماء في موطنها الأولى بنجد والحجاز على آثار منقوشة أو مكتوبة تلقي ضوءاً على حالتها الأولى، وأقدم ما وصل إلينا من آثارها هو ما يعرف بالأدب الجاهلي.. ". أنيس، ابراهيم، اللهجات ..، 1999، ص26-32: ما يذكره عن هذا الموضوع: " أن اللغة الأدبية كانت موحدة قبل الإسلام، وظلّت موحدة بعده، وقد خلت من الصفات الخاصة للهجات، تلك الصفات التي نفر منها خاصة العرب، وأصبحت بعد الإسلام موضع السخرية في كثير من الأحيان... فلما جاء الإسلام، وأراد أن يتألف قلوب العامة والخاصة معاً، سمح بأن يقرأ القرآن ببعض تلك الصفات التي لم يكن في مقدور العامة غيرها، فالقرآن الكريم وإن نزل بلهجة واحدة ولغة أدبية موحدة، أتيح في قراءته الخروج عن تلك اللغة الموحدة، تيسيراً على عامة العرب وتأليفاً لقلوبهم..."; ضيف، شوقي، تاريخ الأدب1...، 1960، ص117-118 وما بعدها؛ حسن الزيات، أحمد، تاريخ الأدب...، دت، ص13، 15-16؛ ظاظا، حسن، الساميون ولغاتهم، ط2، بيروت، 1990، ص149: " إنّ تاريخ العرب السياسي والاجتماعي والديني، وإسهاماتهم في تطور الإنسانية وتقدمها يبدأ بالإسلام والقرآن، واللغة التي خدمت ذلك كله هي اللغة العربية الفصحى، وقد كانت تعيش إلى جانب هذه اللغة الفصحى التي قدّسها العرب منذ الجاهلية، لهجات كانت من القوة

إن ما قاله في الواقع شجعنا على تكرار القول نفسه، وهذا يعني زمنياً العودة إلى الألف الثاني قبل الميلاد، المرحلة التي ظهرت فيها النصوص الأوجاريتية في تل رأس شمرا، وفي الواقع يمكننا القول: إن كثيراً من المقاطع في النصوص الأوجاريتية هي مطابقة للغة العربية الفصحى، وإن لم تكن كذلك، فهي بالتأكيد شبه مطابقة لها، وإليكم الأمثلة الآتية لهذه النصوص وللمقابل لها بالعربية الفصحى:

– 40-35 | 1.14 KTU

– w bhlmh. .. و بحلمه: المقابل بالفصحى: وبحلمه أو في حلمه،

– il.yrd.bdhrth إلى يرد بذهرته⁷⁹: المقابل بالفصحى: إيل يأتي (يرد) بحضرته

– ab.adm.w yqrb أب آدم و يقرب: المقابل بالفصحى: أب آدم، ويقرب

والانتشار بحيث صعب على كثير من العرب أن يكونوا مفهوماً خارج قبيلتهم، حتى يتعلم الواحد منهم تلك اللغة المقدسة العامة، لكي يفصح بها عن حجة قومه في المجمع والأسواق..."; السامرائي، فاضل صالح، الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، بغداد، 1971، ص361: " إن العربية يحيط الغموض في أوليتها ونشأتها.....، وكيف تطورت، فذلك لا علم لنا به."⁽⁷⁹⁾ انظر: dhrt: " -WUS, S. 321; G. D. O. Lete and J. Sanmartin, DUL, P. 286: " Vision: down came: bdhrth. Ab. Adm: in his Vision the father of mankind".

هذه الكلمة ترجمت ب: طيف، خيال، رؤية، وأيست لايتتر (WUS) ترجمتها: بحلم اليقظة، وتمت مقارنتها عند سان مارتين بالعبرية: zhr، وبالعربية ب: zuhrt: حسب الترجمة الإنكليزية: Lane : بمعنى ممر ضيق، طريق..; هناك بحث لي قيد النشر عن الإبدال في اللغة الأوجاريتية، وعلى ما يبدو أنه بخصوص الكلمة الأوجاريتية " ذهرت " هي ما يقابلها في اللغة العربية الكلمة " حضرة "، وهنا تأتي قضية الإبدال بين الضاد والذال، وأيضاً الإبدال بين الحاء والهاء، ومن ثمَّ يمكننا ترجمتها على هذا الأساس ب: ويأتي الإله إيل إلى حضرة الملك كرت، أي إلى المكان الموجود فيه كرت، وقضية التفسير بحلم أو رؤيا، فكان الكاتب الأوجاريتي قد سماها بوضوح: " بحلمه " في السطر رقم 35.

- bsal.krt.mh at. بشأن كرت مه أت: المقابل بالفصحى: بسؤال كرت،
لماذا⁸⁰، ما السبب

- krt.k ybky. كرت يبكي: المقابل بالفصحى: كي يبكي كرت،

- ydm يدمع: المقابل بالفصحى: (كي) يدمع⁸¹.

ب- KTU 1.17 | 25,30,34,35

- w ykn.bnh.bbt. ويكن بنه بيت: المقابل بالفصحى: ويكون ابنه بالبيت
(في القصر).

- ahd.ydh.bskrn. أخذ يده بشكرن: المقابل بالفصحى: أخذ يده وهو في حالة
السكر (سكران).

- ks.yihd.il. كس يإخذ إل: المقابل بالفصحى: الإله إيل يأخذ الكأس،

- ybrk.dnil. يبرك دن إل: المقابل بالفصحى: يبارك (إيل) دانيل⁸².

⁽⁸⁰⁾ - مه: اسكات وأمر بالتوقف عما يريد المرید، بمعنى قف ولا تفعل، وهذا مشهور في كلام العرب، انظر ابن فارس الرازي اللغوي، الصحابي ...، ص178؛ هلال، عبد الغفار حامد، اللهجات العربية....، 1993، ص251: التبادل بين الألف والهاء: " هنا: هنه، وهذا منسوب إلى قيس وتميم، و(مه)، ويمكن أن تكون الهاء بدلاً من ألف (ما)، وأن تكون (مه) اسم فعل بمعنى اكفف..".

⁽⁸¹⁾ - هذا المقابل وضعته أنا.

⁽⁸²⁾ - هذا المقابل وضعته أنا؛ أيضاً يوجد أمثلة أخرى، انظر: _ Aboud, J. Die Rolle des Königs und seiner Familie nach den Texten von Ugarit, FARG, B. 27, Ugarit- Verlag, Munster, 1994, S. 146- 147; Aboud, - J. Abschnitte vom Aqhat- Epos neu übersetzt und analysiert, AOAT, B. 250, Ugarit- Verlag, Munster, 1998, S. 1-10.

- ج- النص: KTU 2.16 1-6: وهو رسالة من أحد الأمراء الأوجاريتيين لأمه الملكة:
- thm. Tlmyn. تحم. تلمين: المقابل بالفصحى: تحيات تلميانو.
- I tryl. Umy. لثريل. أمي: المقابل بالفصحى: لثريل أمي.
- rgm. رجم: المقابل بالفصحى: قل، بلِّغ، اقرأ.
- yslm. Lk. Ily. يشلم. لك. إيلي.: المقابل بالفصحى: يسلم لك إلهي (إلهي يعطيك السلام).
- ugrt. tgrk. أُجرت. تنرك: المقابل بالفصحى: أوجاريت تحميك (تعطيك الحماية)
- tsImk. تشلمك: المقابل بالفصحى: تسلمك (تعطيك السلام)⁸³.
- د- النص: KTU: 4.352 1-4: وهو عبارة عن نص اقتصادي من زمن الملك الأوجاريتي نقمادو الثالث، وتجارته مع قبرص ومصر:
- tt. mat. ttm. Kbd. Smn. ثت. مئة. كبد. شمن.: المقابل بالفصحى: 660 جرة زيت.
- I abrm. altyy. ل أبرم. ألثيي.: المقابل بالفصحى: لأبرام من قبرص "القبرصي". (الاثيا- الاشيا).
- mit. tltn. Kbd. smn. مئة. ثلثم. كبد. شمن: المقابل بالفصحى: 130 جرة زيت.
- I abrm. msrm. ل أبرم. مصرم.: المقابل بالفصحى: لأبرام من مصر " المصري"⁸⁴.

⁸³ – Aboud, J., Die Rolle..., 1994, S. 39, 119. هذا المقابل وضعته أنا، انظر أيضاً:

⁸⁴ – Aboud, J., Die Rolle..., 1994, S.94. هذا المقابل وضعته أنا، انظر أيضاً:

هـ- النص: KTU 2.38 1-9 وهو عبارة عن رسالة من أحد ملوك صور الى أحد ملوك أوجاريت:

– mlk. Ugrt. ال ملك. أجرت.: المقابل بالفصحى: لملك أوجاريت،

– ahy. rgm. أحي. رجم.: المقابل بالفصحى: أخي، بلّغ،

– thm. mlk. sr. ahk. تم. ملك. صر. أخك.: المقابل بالفصحى: تحيات ملك صور أخاك.

– yslm. lk. ilm. يشلم. لك. إلم.: المقابل بالفصحى: يسلم عليك. الآلهة،

– tgrk. tsImk. تغرك. تشلمك.: المقابل بالفصحى: تحميك تسلمك (تعطيك الحماية والسلام).

– hnny. mn. هنني. عن.: المقابل بالفصحى: هنا معنا أو عندنا،

– slm. tmny. شلم. ثمني.: المقابل بالفصحى: الأمور بخير "سلام"، هناك

– mk. mnm. slm. عمك. منم. شلم.: المقابل بالفصحى: معك أو عندك، (هل) الأمور بخير "بسلام"؟

– rgm. ttb. رجم. تثب.: المقابل بالفصحى: أكتب (لي) خيراً (رسالة)⁸⁵.

وهناك الأمثلة الكثيرة في اللهجة الأوجاريتية شبه المطابقة للعربية الفصحى، ولا بدّ من الإشارة هنا إلى مقارنتها أيضاً بالنقوش كلّها الواردة أعلاه، وبشكل خاص بالنقوش النبطية.

وفي الواقع لقد أصبح من الواضح ومن خلال الآراء الواردة سابقاً، الأسباب والدوافع في إهمال دراسة العلاقة بين العربية الفصحى واللهجة الأوجاريتية خاصة من قبل الباحثين الأجانب، وأيضاً العلاقة بينها وبين لهجات قديمة أخرى، كالسبئية مثلاً.

⁽⁸⁵⁾ – Aboud, J., Die Rolle..., 1994, S. 101. انظر أيضاً: هذا المقابل وضعته أنا، انظر أيضاً:

ويجب القول هنا: إنَّ اللغة العربية تمت كتابتها منذ أقدم الأزمنة بالشكل التصويري المسماري للخط، الذي بدأ في مسيرة تطور بدءاً من أوجاريت باتجاه الجنوب وصولاً حتى اليمن والخط المسند والكتابة العربية الحالية⁸⁶.

ومن الجدير بالذكر هنا أننا في أثناء التصفح في قاموس مخصص لهجة السبئية⁸⁷، تبين وجود الكثير الكثير من الكلمات المشتركة بالمعنى نفسه بينها وبين الأوجاريتية، وهذه الكلمات بطبيعة الحال هي في معظمها مازالت مستمرة حتى الآن في لغتنا الفصحى، وضمن هذا السياق، وبناء على مسيرة التطور المستمرة للغتنا، يمكننا القول: إنَّ كثيراً من الكلمات فيها نحتاج حالياً إلى قواميس أو معاجم مختصة لفهم معانيها، ومن ثمَّ ليس من الغرابة أن نرى حالياً ولأول وهلة كثيراً من الكلمات في الأوجاريتية، أو في غيرها من اللهجات القديمة غريبة علينا⁸⁷. وقبل أن نختم بحثنا نعرض نماذج من اللهجة السبئية، مع ما يقابلها من كلمات في الأوجاريتية، وهذا يعني الأصل الواحد والتقاء الجنوب والشمال بشكل مستمر ومنذ أقدم الأزمنة، ولا يوجد جنوب مختلف عن الشمال، ولا شمال مختلف عن شمال الشمال، واللغة العربية الفصحى مستمرة في تطورها عبر آلاف من السنين قبل الميلاد، وبعد الميلاد وصولاً حتى الآن:

⁸⁶ - انظر: عبود، جهاد، الكتابة العربية الحالية...، 2017، ص250 وما بعدها.

⁸⁷ - تالينو، كارلو، تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية، نص المحاضرات التي ألقاها تالينو 1910-1911 في الجامعة المصرية، تقديم: طه حسين، ط2، دار المعارف بمصر - القاهرة، د. ت، ص21: " إنَّ اللغة لكائن حي فعلي مثل كل حي تقبل النمو والتجدد والفساد، وكذلك الألفاظ المفردة فكثيراً ما يطرأ عليها من التغير والانتقال من معنى إلى آخر، حسبما يقتضي تغير أحوال الأمة الاجتماعية والسياسية والتقدم أو التقهقر في الصناعات والعلوم."

ثامناً- نماذج من كلمات سبئية وأوجاريتية، وما يقابلها من كلمات في اللغة العربية

الفصحى:

اللغة العربية	اللهجة الأوجاريتية	اللهجة السبئية
أكل، طعام، مخزن طعام، غلال.	أكل	أكل
لا	أل	أل
أنا	أن	أن
أثر، موضع، مكان.	أثر	أثر
عبد، خادم	عبد	عبد
مع، الى	عم	عم
ذبح، ضحية.	ذبح	ذبح
دافع، حمى.	ذمر	ذمر
جرن.	جرن	جرن
مسكن غرفة، حضيرة.	حدر	خدر
حيل، قوة.	حل	حيل
حلم،	حلم	حلم. رؤية
الكل بالكامل.	كلل	كلل
كوكب، نجم.	ككب	كوكب
مأ.	مأ	مأ
ملك.	ملك	ملك
المونة من الطعام. الزاد	منة	مون
مجمرة دخان، دخان البخور.	قطر	قطر
ابتعد، نأى.	رحق	رحق
رحض، اغتسل.	رحص	رحض
صغير، طفل.	صغر	صغر
ثأر.	ثئر	ثأر

ثور.	ثر	ثور
طرد.	طرد	طرد
يعلم، يعرف ⁸⁸ .	يدع	يدع

وأخيراً وليس آخراً، يجب علينا القول، إنّ اللغة العربية أوسع بكثير ممّا يظن بعضهم، وكان من الخطأ الكبير الفصل بين أبناء الأصل الواحد، واعتبارهم أقساماً وأجزاءً متباعدة بين جنوب وشمال وغرب وشرق.

ويجب القول أيضاً: إنّ اللغة هي من يتفرع إلى لهجات وليس العكس، وهذا ما نراه من كلمات في الفصحى موجودة في اللهجات وليس العكس، وبالتالي فإنّها هي الأم للهجات العربية القديمة والحديثة كلّها، والمعجزة أنّها ظهرت أخيراً مكتوبةً بكل أناقته ونقائنها، ونتمنى أن يكون لعلم الآثار في المستقبل والتنقيبات الأثرية الدور المهم، وبشكل خاص داخل شبه الجزيرة العربية بالكامل، لعلّه يقدم لنا مكتشفاتٍ أثريةً جديدةً في موضوع اللغة العربية الفصيحة القديمة.

ومن المعروف أيضاً أن خط تطور الإنسان هو الى الأمام، من الأقل إلى الأكثر، ولغة الإنسان مرتبطة بذلك ارتباطاً وثيقاً، وذلك حسب تزايد أعمال الإنسان وحاجياته من خلال الحديد الذي يكتشفه يوماً بعد يوم، وهذا بدوره يؤدي إلى تشعب العلاقات بين التجمعات البشرية في النواحي الحياتية كلّها، ومن ثمّ فإنّ هذا يتطلب المزيد والمزيد من الكلمات الجديدة، وهذه الكلمات إما أن يصنعها ذلك التجمع البشري ذاتياً، أو يكتسبها

⁽⁸⁸⁾ - انظر: القاموس الأوجاريتي: 126- 16 WUS. والقاموس السبئي: Ghul, A.f.I., Beeston - M.A., Muller, W.W., Ryckmans, J., Sabaic Dictionry, Copyright Univercity of Sanaa. YAR. 1982. 4- 167.

من الآخرين من خلال العلاقات الإنسانية المختلفة، وهذا يرافقه نوع من التطور في اللغة نفسها⁸⁹.

تاسعاً - الخاتمة:

لا بدّ من القول في ختام بحثنا هذا "اللغة العربية القديمة وأصولها": إنّ هذا الموضوع ما زال يحتاج إلى الكثير من الدراسات المتخصصة، وإلى فتح أبواب جديدة في دراسة اللهجات العربية القديمة واللاحقة، سواءً في قلب شبه الجزيرة العربية أو خارجها، لنستطيع الرد على الآراء المغرضة كلّها في تشويه لغتنا، فهي لم تكن في تقسيم حدودنا، وإنّما أيضاً قامت بتقسيم لغتنا إلى مجموعات متعددة وأجزاء كثيرة، وكما ذكرنا في أثناء البحث بأن اللهجات تنفر عن اللغة الأم - وهذا الخط الطبيعي - وليس العكس، كما جعل بعضها من العربية الفصحى تجميعاً للكلمات من اللهجات القبلية، وبالتالي يجب علينا التعامل بقناعة تامة مع فكرة المجتمع الواحد الذي توزع وعاش على مساحات جغرافية كبيرة منذ أقدم الأزمنة حتى الآن، ومنذ آدم أو الإنسان العاقل، " الذي علّمه البيان".

بعض من الآراء يرون أنّ اللغة الأصلية الأم هي غير عربية، وأن مجموعة اللغات (السامية) انحدرت منها، ولا يوجد عربية إلاّ العربية، وهي واحدة من تلك المجموعة، وعدتّ بعض النقوش لبعض القبائل هي البدايات للفصحى، وسمّتها باللغة العربية "المبكرة".

وهناك قسم آخر من الآراء يعدّ أيضاً أنّ اللغة الأصلية الأم هي غير عربية، واللهجات القبلية كانت هي الأساس لنشأة الفصحى، وذلك باختيار الألفاظ المثالية من

⁽⁸⁹⁾ وافي، علي عبد الواحد، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، نهضة مصر للتوزيع والنشر - القاهرة،

2002، ص51.

تلك اللهجات، والزمن لا يعود إلى الوراء أكثر من قرن إلى قرن ونصف على الأكثر قبل الإسلام، وما سمّوه باللغات السامية القديمة عدّوها أيضاً لا علاقة لها باللغة العربية، أو باللهجات القبائل العربية التي عاشت على أرض شبه الجزيرة العربية.

ورأينا قسماً ثالثاً من الآراء جعل من اليمن ولهجاته أن لا علاقة لهما باللغة العربية لا من قريب أو بعيد، حتى أنّ المصادر العربية شاركت في ذلك، وبالمقابل هناك قلة من الآراء التي ترى عكس ذلك، ولكن بشكل عام بقيت المساحة المتفق عليها الخاصة باللغة العربية ونشأتها هي القسم الشمالي من شبه الجزيرة العربية والبادية في بلاد الشام والرافدين.

وردّاً على مثل هذه الآراء بعد مناقشتها نؤكد النتائج الآتية:

1- اللغة تخضع لما يُسمّى مسيرة التطور من جيل إلى جيل، ومن زمن إلى زمن آخر، وهذه المسيرة كانت عبر آلاف من السنين، وليست عبر قرون زمنية محددة، وما زالت مستمرة، منذ وجود الإنسان العاقل حتى الآن.

2 - لهجات القبائل هي التي تفرعت عن اللغة العربية وليس العكس، ومن الزور والخطأ الكبير، أن نضع لغتنا العربية، التي هي، بمخزونها الضخم جداً، أعظم، كما ونوعاً، من أيّ لغة أخرى في العالم، في موضع لا يليق بها، كأن نعدّها، بكلّ استهتار بالعقل، عبارة عن تجميع للكلمات من لهجات ولغات مختلفة.

3 - العمق الزمني للغة العربية أصبح لا جدال فيه، وذلك بعد اعتماد النصّ الأوجاريتي في ذلك، الذي يعود كنصّ مكتوب إلى الألف الثاني قبل الميلاد، وأية مقارنة بالنصوص الأخرى، الأكادية وغيرها من اللهجات سبّين الأمر نفسه، لأنّ هذه اللغة كما برهنت الدراسات هي لغة الإنسان العاقل.

4 - أعطانا النصّ الأوجاريتي الامتداد الجغرافي الواسع من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال، كمساحة عاش عليها العرب، وفي الواقع لا بدّ من القول هنا، إننا لم نعدّ أنّ اللهجة الأوجاريتية هي البدايات للغة العربية القديمة، بل كانت نموذجاً لها، ومحطة في طريق تطورها المستمر، وكذلك الأمر بالنسبة إلى بقية اللهجات.

5 - تبيّن أنّ اليمن هو الخزان البشري الذي صدر القبائل إلى الشمال، وكان ذلك من خلال استعراض أسماء القبائل الثمودية والصفوية، ومنها القحطانية والعدنانية، وإنّ المذكور من القبائل في المصادر العربية، واللاحقة لها زمنياً (العرب الباقية) هي امتداد لها.

هذه هي أهم النتائج بشكل عام، التي تؤكد أنّ العربية هي لغة العالم القديم، إنساناً وحضارةً، ونرجو أن نكون قد وفّقنا.

عاشراً: المصادر والمراجع:

العربية:

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس - العهد القديم.
- ابن التمين، محمد عبدالله، اللحن اللغوي وآثاره في الفقه واللغة، ط2، إدارة البحوث بدبي - الإمارات العربية المتحدة، 1433هـ - 2012م.
- ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت، د. ت.
- أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي، الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف - بيروت، 1993.

- الأزرقى، أبو الوليد محمد بن عبدالله، أخبار مكة وما جاء فيها من آثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس- بيروت، 1983.
- الأسد، ناصر الدين، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار الجبل- بيروت، 2006.
- الأفغاني، سعيد، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، 1974.
- أنيس، إبراهيم، اللهجات العربية، دار الفكر العربي- القاهرة، 1999.
- البوريني، عبد الرحمن أحمد، اللغة العربية أصل اللغات كلها، دار الحسن للتوزيع والنشر- عمان، 1998.
- بيطار، الياس، قواعد اللغة الأوغاريتية، منشورات جامعة دمشق، 1991-1992.
- بيومي، سعيد أحمد، أم اللغات- دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها، دار الكتب المصرية- القاهرة، 2002.
- التيمي، توفيق محمد السامعي، اللغة اليمنية في القرآن الكريم، الهيئة العامة للكتاب- صنعاء، 2012.
- حسين، طه، الأدب الجاهلي، ط3، القاهرة، 1933.
- داوود، أحمد، تاريخ سوريا القديم- تصحيح وتحرير، ط3، منشورات دار الصفدي- دمشق، 2003.
- الدرويش، جاسم محمود، اللهجات العربية البائدة وعلاقتها بعربية القرآن الكريم، المختار للعلوم الإنسانية، العدد الثاني، جامعة عمر المختار، طبرق- ليبيا، 2004.
- الدوسري، ترحيب بن ربيعان، نشأة اللغات، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد، 1429هـ- 2008م.
- الراجحي، عبده، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، الاسكندرية، 1996.

- الروسان، محمود محمد، القبائل الثمودية والصفوية- دراسة مقارنة، ط2، مطابع جامعة الملك سعود- السعودية، 1992.
- الزيانت، أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر- القاهرة، د. ت.
- زيدان، جرجي، اللغة العربية كائن حي، ط2، دار الجبل- بيروت، 1988.
- _____، تاريخ آداب اللغة العربية، ج1، طبعة جديدة- دار الهلال: راجعها وعلق عليها شوقي ضيف- جامعة القاهرة، د. ت.
- _____، العرب قبل الإسلام، طبعة جديدة راجعها وعلق عليها حسين مؤنس، دار الهلال- القاهرة، د. ت.
- السامرائي، فاضل صالح، الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، مطبعة الإرشاد- بغداد، 1971.
- سقال، ديزيره، العرب في العصر الجاهلي، دار الصداقة العربية- بيروت، 1995.
- سليم، أحمد أمين، جوانب من تاريخ العرب وحضارة العرب في العصور القديمة، الاسكندرية، 1997.
- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج1-2، الشرح والتعليق: محمد أحمد جاد المولى بك- علي محمد البجاوي- محمد ابو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية- بيروت، 1986.
- الطعان، هاشم، تأثر العربية باللغات اليمينية القديمة، مطبعة الإرشاد- بغداد، 1968.
- طقوش، محمد سهيل، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النفائس- بيروت، 2009.
- ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي- العصر الجاهلي، ط11، دار المعارف- القاهرة، 1960.
- ظاظا، حسن، الساميون ولغاتهم، ط2، الدار الشامية- بيروت، دار القلم- دمشق، 1990.

- _____، اللسان والإنسان - مدخل إلى معرفة اللغة، ط2، دار القلم-دمشق،
الدار الشامية- بيروت، 1990.
- العبد، عبد الحكيم، تاريخ الأدب العربي، مركز اللغات والترجمة، أكاديمية الفنون،
2006.
- عيود، جهاد، الكتابة العربية الحالية- النشأة والأصل (دراسة جديدة)، مجلة
دراسات تاريخية، العدد 135، جامعة دمشق، 2017.
- العبيدي، عبد الجبار عبدالله، الإبدال في اللهجات وأثر الصوت فيه، مجلة جامعة
الأنبار للغات والآداب، العدد 3، 2010.
- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8، ط2، بغداد، 1993.
- العلي، صالح أحمد، تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، بيروت، 2000.
- غسان، زيد بن علي، تاريخ حضارة اليمن القديم، المطبعة السلفية ومكتبتها- شارع
الفتح بالروضة، 1396هـ - 1976م.
- الغوث، مختار، لغة قریش، دار المعراج الدولية للنشر- الرياض، 1418هـ-
1997.
- الفاخوري، حنا، الجامع في تاريخ الأدب العربي- الأدب القديم، دار الجبل- بيروت،
1986.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين مرتباً على حروف المعجم، ج1- ج4،
ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت، 2002.
- فرزات، محمد حرب- مرعي، عيد، دول وحضارات في الشرق العربي القديم- سومر
وأكاد، بابل وأشور، أمورو وآرام، ط2، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر-
دمشق، 1994.
- فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي، ج1، ط4، دار العلم للملايين- بيروت، 1981.
- فريحة، أنيس، اللهجات وأسلوب دراستها، دار الجبل- بيروت، 1989.

- الفلقشندي، أبو العباس أحمد، كتاب صبح الأعشى، ج3، طبع بالمطبعة الأميرية، دار الكتب الخديوية- القاهرة، 1414هـ.
- كتاب شعراء النصرانية، الجزء الأول- القسم الثاني، جمعه ووقف على طبعه وتصحيحه الأب لويس شيخو اليسوعي، طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين- بيروت، 1890.
- كريم، محمد رياض، المقتضب في لهجات العرب، جامعة الأزهر، 1996.
- مجلة "دراسات تاريخية"، جامعة دمشق، العدد 135- 136، مجلد عام 2017، أبحاث ملف 2.
- الهمذاني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق: بن علي الحوالي، مكتبة الإرشاد- صنعاء، 1990.
- وافي، عبد الواحد، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، القاهرة، 2002.
- المراجع الأجنبية المعرّبة:**
- باي، ماريو، أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، ط2، علاء للكتاب- القاهرة، 1998.
- تالينو، كارلو، تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية، نص المحاضرات التي ألقاها تالينو 1910- 1911 في الجامعة المصرية، تقديم: طه حسين، ط2، دار المعارف بمصر، د. ت.
- جونستون، ت. م.، دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية، ترجمة: أحمد محمد الضبيب، ط2، الدار العربية للموسوعات- بيروت، 1983.
- رابين، تشيم، اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية، ترجمة: عبد الكريم مجاهد، الأردن، 2002.
- رنيه، ديسو، العرب في سوريا قبل الإسلام، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، القاهرة، 1959.

- برت، هيلند، تاريخ العرب في جزيرة العرب من العصر البرونزي إلى صدر الإسلام، 3200ق.م - 630م، ترجمة: عدنان حسن، بيروت، 2010.
 - سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، م2، ج2، ترجمة: محمود فهمي حجازي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- القصيم، السعودية، 1991.
 - فرستيغ، كيس، اللغة العربية (تاريخها ومستوياتها وتأثيرها)، ترجمة: محمد الشرقاوي، القاهرة، 2003.
 - موسكاتي، سباتينو- شبتلر، أنطون- اولندورف، ادفارد- فون زودن، فلرام، مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، ترجمة: مهدي المخزومي- عبد الجبار المطليبي، عالم الكتاب- بيروت، 1993.
 - نيلسن، ديتلف- هومل، فريتز- رودوكاناكيس، ل. - جرومان، أدولف، التاريخ العربي القديم، ترجمة: فؤاد حسنين علي، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، 1958.
 - ولفنسون، اسرائيل، تاريخ اللغات السامية، لجنة التأليف والترجمة والنشر 1914، مكتبة الاعتماد بمصر، 1929.
- المصادر والمراجع الأجنبية:**

- Aistleitner, J., WUS, Akademie- Verlag, Berlin, 1963.
- Aboud, J., Die Rolle des Konigs und seiner Familie nach den Aboud, J., Abschnitte von Aqhat- Epos, neu ubersetzt und analysiert, AOAT, B. 250, Ugarit- Verlag, Munster, 1998.
- Beeston, A.F.L., Guhl, M.A., Muller, W.W., Ryckmans, J., Sabaic Dictionry, Copyright Univercity of Sanaa, YAR. 1982.
- Del Olmo Lete, G., Sanmartin, J., DUL, Brill, Leiden- Boston, 2003.

- Dietrich, M., Loretz, O., Sanmartin, J., KTU, AOAT, B. 24-1, Ugarit- Verlag, Munster, 1976.
- Pope, M., Das Ratsel der alten Schriften, Oxford, 1973.
- Schaefer, C.F.A., PRU, Paris.
- Segert, J., A Basic Grammar of the Ugaritic Language, London, 1984.

- المختصرات:

- AOAT: Alter Orient und Altes Testament.
 - DUL: A Dictionry of the Ugaritic Language in the alphabetic Tradition
 - FARG: Forschungen zur Anthropologie und Religionsgeschichte.
 - KTU: Die keilalphabetischen Texte aus Ugarit.
 - PRU: Le Palais de Ugarit. -WUS: Worterbuch der ugaritischen Sprache.
-

